جامعة النجاح الوطنية
كليه الدراسات العليا

صورة الفَرَس في الأدب الشعبي الفلسطيني

إعداد
ليندا مصطفى علي شلة

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2016م

صورة الفَرَس في الأدب الشعبي الفلسطيني

إعداد

لیندا مصطفى علي شلة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2016/1/18م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التاريخ
1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. ياسر أبو عليان / ممتحناً خارجياً	....
3. د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى من أضاءا لي درب النجاح ومنحاني عيش السعداء...

أمي وأبي

إلى من شربت من نبع حنانهم...

إخوتي وأخواتي

إلى عشاق الخيل في كل مكان..

أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

لما كان الإقرار بالفضل لأهله، والاعتراف بالجميل لصانعيه، من دواعي الوفاء، أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الدكتور إحسان الديك، على ما بذله من جهد، وأنفقه من وقت في رعاية هذه الدراسة، وإنارة درب الباحثة، ليصبح الصعب سهلا، والبعيد قريبا، والغامض واضحا وجليا بإذن الله.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة الفَرَس في الأدب الشعبي الفلسطيني

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الأطروحة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالبة: لينا مصطفى علي شلة

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ١٨ / ١ / ٢٠١٦م

فهرس المحتويات

صورة الفَرَس في الأدب الشعبي الفلسطيني

إعداد

ليندا مصطفى علي شلة

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

تأتي هذه الدراسة، في محاولة لتحليل ما استقر في اللاشعور الجمعي عن صورة الفرس عند الإنسان منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، مع التركيز على الصورة المستقرة في وجدان الشعب الفلسطيني وأدبه من شعر شعبي وحكاية ومثل.

جاءت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، عرضت الباحثة في المقدمة أهمية الدراسة، والدراسات السابقة، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا العمل.

تحدثت الباحثة في الفصل الأول، عن صورة الفرس في الفكر القديم، وقد سبق ذلك تمهيد لغوي، وقفت فيه على ما ورد في بعض المعاجم العربية من تفسير لمعنى "فرس"، و "حصان"، و"خيل". ثم عرجت بعد ذلك إلى الحديث عن الفرس عند القدماء، فجاء هذا الأمر في ثلاثة مباحث: الأول بعنوان "الفرس في الفكر الإنساني القديم"، حيث توقفت الباحثة عند الأساطير المتعلقة بالفرس، والتي أوضحت علاقة المرأة والسماء والماء بهذا الكائن، الذي اكتسب بدوره صفات رمزية مقدسة.

في حين جاء المبحث الثاني من هذا الفصل بعنوان "الفرس في الفكر العربي القديم"، حيث حاولت الباحثة فيه، إظهار صورة الفرس في الفكر الجاهلي،مستعينة ببعض ما جاء في الأشعار والأقوال المأثورة.

وجاء المبحث الثالث، تحت عنوان "الفرس في ضوء الإسلام"، تناولت الباحثة فيه، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي ذكرت الفرس، موضحة من خلال ذلك مكانة هذا الكائن في ظل الإسلام.

أما الفصل الثاني، فقد خصص للحديث عن مكانة الفرس في حياة الفلسطيني، وجاء بعنوان " تجليات الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني"، قسمته إلى مبحثين: أحدهما تحدثت فيه الباحثة عن صورة الفرس في الفكر الشعبي الفلسطيني، أما الآخر فقد عرض فيه ما خصصه الأدب الشعبي الفلسطيني، من شعر ومثل وحكاية، لتوضيح صورة الفرس.

وفي الفصل الأخير، تم تحليل الصورة السابقة للفرس في الأدب الشعبي، مستعينة بعناصر التشكيل الفني من خلال الحديث عن الصورة الفنية واللغة والأسلوب، والموسيقا.

وختمت الدراسة، بخاتمة تم فيها عرض النتائج المستخلصة من هذا العمل، وأهمها:

أولا- برزتْ الأساطيرُ التي عبَّرَتْ عن الفرسِ ومكانتِه في حياةِ الإنسانِ منذ القدم، لتخرجَ بصورةٍ واضحةٍ عما حملَه الفكرُ البشريُّ من معتقداتٍ حَمَلت طابَعا رمزيا لصورةِ هذا الكائن، مضفيةً إليه هالةً من القداسة، امتدت حتى يومِنا هذا.

ثانثا-لم تكن الحضارةُ العربيةُ القديمةُ، بعيدةً عن تلك الأساطيرِ الغارقةِ في عمقِ التاريخ، حيث شَكَّلَ الفارسُ والفرسُ والسيفُ ثالوثا موحدا، يرمز إلى عزِّ العربيِّ ومَنْعَتِه وشرفِه، فعلى غِرارِ الأساطيرِ القديمة، ظهرت أساطيرٌ عربيةٌ، تُبْرِزُ مكانةَ الفرسِ في الفكرِ العربيِّ القديم، التي أصبحت نمطا ثقافيا عَبَّرَتْ عنه الثقافةُ العربيةُ بوسائلِها التعبيريةِ كافةٍ، نثرا وشعرا.

ثالثا- لم يقتصرْ بيانُ أهميةِ الفرسِ على القرآنِ الكريم، بل كان الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- يحثُّ المسلمين على اتخاذِ الخيل وارتباطِها في سبيلِ الله، من خلال مجموعةٍ من الأحاديثِ المُتَّفَق عليها.

رابعا- استقرت صورةُ الفرسِ في فكرِ الشعبِ الفلسطيني، من خلال المأثورِ القولي، المُنْتَقِلِ من جيلٍ إلى جيل، حيث احتلت تلك الصورةُ مساحةً كبيرةً في الشعرِ الشعبيِّ وفي الأمثالِ والحكايات.

خامسا– لم تكن تّمُرُّ على الفلسطينيِّ مناسبةٌ إلا ومَثَّلَ الفرسُ فيها دورا أساسيا، حيث ظهرت صورتُه في أغاني الأفراحِ، والحماسةِ، وأغاني الأطفالِ، والبكائيات.

سادسا– حمل الأدبُ الشعبيُّ الفلسطينيُّ، مجموعةً من الأمثالِ التي تَدُلُّ على مكانةِ الخيلِ في حياةِ الإنسان اليومية، فبعضُها مستمدٌ من التراثِ العربي، وبعضُها الآخرُ هو من وحيِّ الحياةِ التي عاشَها الفلسطينيُّ برفقةِ فرسِه.

سابعا– يحتلُ الفرسُ في حكاياتِ الشُطَّارِ والحكاياتِ الخرافيةِ دورا رئيسا، حتى يبدو البطلُ بالنسبة إليه، شخصا من الدرجةِ الثانيةِ في التأثيرِ في مجريات الأحداث، وذلك بعكس الحكاياتِ النمطيةِ التقليدية، إذ يقتصرُ دورُه على كونهِ وسيلةً يتخذها البطلُ للتنقلِ والوصولِ إلى هدفِه.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من جملة الأسباب التي أعانت الإنسان على التقدم في ميدان التفكير والحضارة تقدما سريعا، أنه استطاع تَفَّهُم نفسية الحيوان، والتعامل معه في ميدان العمل واللهو والرياضة. ولقد عرف التاريخ البشري كثيرا من النفوس البشرية التي عاشت متعلقة بالحيوان أشد التعلق، كما عرف تاريخ الآداب العالمية عددا حافلا من غرر النظم والنثر في وصف الحيوانات المختلفة، ومتعها الهنيّة.

وقد كان الفرس واحدا من الحيوانات التي حظيت على مر العصور، بمكانة مميزة في الفكر الإنساني، فاكتسبت صورة هذا الكائن عند الأمم المختلفة طابعا رمزيا يحمل جانبا من القداسة، إذ بدت حاضرة بشكل لافت في الكتب السماوية وأساطير العالم القديم، مثل أسطورة حصان طروادة، والحصان المجنح. فضلا عن ارتباط الفرس بمعركة آخر الزمان التي تناولتها التوراة والإنجيل، فجعلا من الفرس والفرسان عاملا أساسيا في إنهاء تلك المعركة.

كما أبرز الإسلام قيمة الفرس عند الإنسان، من خلال القسم الذي نجده في القرآن الكريم، في قوله تعالى: " والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا"[1]. يُضاف إلى ذلك أحاديث عدة، تقف الباحثة عندها لتحللها وتبرز ما فيها من إشارات تتجلى فيها صورة الفرس في الفكر الإسلامي.

ولم يكن الأدب – أيضا – بمعزل عن تلك الصورة، فالأدب الجاهلي – على سبيل المثال – يحمل لنا التصور الذي كونه الإنسان الجاهلي للفرس في عدد من القصائد، نذكر منها معلقة امرئ القيس، التي خلع فيها على حصانه صفات أسطورية مقدسة، جعلت منه كائنا خارجا عن حدود الزمان.

[1] العاديات، الآيات: 1-4

ونظراً لمكانة الفرس عند العرب فقد حملت الروايات الكثيرة عنه طابعا أسطوريا. فمن ناحية، تذهب بعض الروايات إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق الفرس من ريح الجنوب، ولذا فهي سريعة في العدو. ومن ناحية أخرى يصف الرواة "البراق " الذي عرج به سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الى السماء بأنه على هيئة حصان مجنح.

ولأن الأدب وعاء تصب فيه القيم الفكرية والفلسفية، نجد أن فلسفة الإنسان حول الفرس كانت وما زالت دائمة الحضور في أدبه، الذي هو تعبير عن حال أمته في السلم والحرب، وفي الفرح والترح، وفي غيرها من المناسبات الاجتماعية حاملا معه رموزا أسطورية مختلفة.

من هنا وانطلاقا من فكرة اللاوعي الجمعي، الذي يعد صلة وصل تساعد على الربط بين معتقدات الأمم باختلاف الزمان والمكان، تأتي هذه الدراسة في محاولة لتحليل ما استقر في اللاشعور عن صورة الفرس عند الإنسان منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، مع التركيز على الصورة المستقرة في فكر الشعب الفلسطيني وأدبه من شعر شعبي و حكاية ومثل وأغنية.

وتحاول الباحثة في هذه الدراسة معالجة الصورة الفنية للفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني؛ لتأصيلها والكشف عن جذورها التاريخية والأسطورية، والوقوف على رموزها الفنية، فتتجاوز بذلك الشروح اللغوية التقليدية، إلى شرح تتعمق فيه دلالة الصورة وتتضح جوانبها البلاغية وغاياتها الرمزية.

من هنا تسعى الباحثة لربط صورة الفرس بصورة: المرأة، والسماء، والماء، والحكمة.

وتمثل هذه الصورة جزءا هاما من التراث والأدب الشعبي الفلسطيني، حيث شكل الأدب الشفاهي المحفوظ في صدور الشعب ووجدانه دعامة أساسية لبقاء هذه الصورة حتى وقت ليس بالبعيد، أما اليوم فخطر ضياع هذا الإرث أصبح يهدد فلكلورنا الشعبي، من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، في كونها أولا وسيلة لحفظ الجزء المتعلق بالفرس، وثانيا في اعتبارها محاولة أولى لعرض صورة الفرس عرضا مفصلا في الأدب الشعبي الفلسطيني، وذلك من خلال البحث

عن الجذور الأولى لهذه الصورة في الفكر والأدب القديمين، مع التركيز على المكانة التي يحتلها هذا الكائن في وجدان الفلسطيني وأدبه.

ومع ذلك، لم تكن صورة الفرس في الأدب، بمعزل عن تناول الباحثين لها، وإن كان جهد بعضهم متركزا على إبراز تلك الصورة في الفكر والأدب العربي القديمين تارة، والإسلامي تارة أخرى، في حين جاء التناول عند باحثين آخرين، على شكل إشارات سيقت لأغراض تخدم مقاصد أصحابها في أبحاثهم.

من هنا، يمكن تقسيم ما قام به الباحثون في هذا المجال إلى قسمين: قسم تناول صورة الفرس تناولا أدبيا، لا يخلو من تحليل معمق لرموز تلك الصورة، وذلك على النحو الذي نجده عند كل من:

1. دراسة مصطفى ناصف، "قراءة ثانية لشعرنا القديم"، حيث جاء جزء من هذه الدراسة في تحليل صورة الفرس بناء على الرموز الأسطورية التي نشأت في فكر الأمم البائدة.
2. دراسة القيسي، "الطبيعة في الشعر الجاهلي"، التي لم تختلف عن سابقتها في اللجوء إلى المنهج الأسطوري لفهم الصورة.
3. دراسة ريتا عوض، " بنية القصيدة الجاهلية"، حيث تطرقت للحديث عن صورة الفرس في معرض تناولها لمعلقة امرئ القيس.
4. دراسة مصطفى الشورى، "الشعر الجاهلي: تفسير أسطوري"، وغيرها.

أما القسم الثاني، فقد جاء في كتب التراث العربي، التي تناولت أشعار العرب عن الفرس، في معرض الحديث عن أنسابه وصفاته، وقد أورد الدغيشي في كتابه "معجم الخيل العربية الأصيلة"، مائة وثمانية وخمسين مؤلفا، جاء فيها أصحابها على صفات الفرس وأنسابه وأحواله، ولأن المقام لا يسمح بتعدادها، ستكتفي الباحثة بالإشارة إلى ما تم الاعتماد عليه في الفصل الأول من هذه الدراسة:

1. كتاب "أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام"، لهشام الكلبي.

2. كتاب "أسماء الخيل"، لأبي عبيدة.

3. كتاب "أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها"، لابن الأعرابي.

4. كتاب "حياة الحيوان الكبرى"، للدميري، حيث خُصص للفرس مساحة كبيرة للحديث عن خلق الفرس، وعن صفاته وألوانه، ومثله كتاب " نهاية الأرب في فنون العرب" للنويري، وغيرها.

كما أن هناك بحثا لعمر حمدان بعنوان " الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني"، خصصه لجمع بعض الأمثال والأغاني المتعلقة بالفرس.

وقد تكونت هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

تحدثت الباحثة في الفصل الأول، عن صورة الفرس في الفكر القديم، وقد سبق ذلك تمهيد لغوي، استطاعت الباحثة فيه الوقوف على ما ورد في بعض المعاجم العربية من تفسير لمعنى "فرس"، و "حصان"، و"خيل". ثم عرجت بعد ذلك إلى الحديث عن الفرس عند القدماء، فجاء هذا الأمر في ثلاثة مباحث: الأول بعنوان "الفرس في الفكر الإنساني القديم"، حيث توقفت الباحثة عند الأساطير المتعلقة بالفرس، والتي أوضحت علاقة كل من المرأة والسماء والماء بهذا الكائن، الذي اكتسب بدوره صفات رمزية مقدسة.

في حين جاء المبحث الثاني من هذا الفصل بعنوان "الفرس في الفكر العربي القديم"، حيث حاولت الباحثة في هذا الفصل، إظهار صورة الفرس في الفكر الجاهلي، عن طريق الاستعانة ببعض ما جاء في الأشعار والأقوال المأثورة.

كما جاء المبحث الثالث، بعنوان "الفرس في الإسلام"، تناولت الباحثة فيه، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي ذكرت الفرس، موضحة من خلال ذلك المكانة التي حاز عليها هذا الكائن في ظل الإسلام.

أما الفصل الثاني، فقد خصص للحديث عن مكانة الفرس في حياة الفلسطيني، وجاء بعنوان " تجليات الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني"، قسّمته إلى مبحثين: أحدهما تحدثت فيه عن صورة الفرس في الفكر الشعبي الفلسطيني، أما الآخر فقد تم عرض ما خصصه الأدب الشعبي الفلسطيني، من شعر ومثل وحكاية، في سبيل توضيح صورة الفرس.

وفي الفصل الأخير، الذي أدرجته تحت عنوان "التشكيل الفني لصورة الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني"، قمت بتحليل تلك الصورة ، مستعينة بعناصر التشكيل الفني من خلال الحديث عن الصورة الفنية واللغة والأسلوب، والموسيقا.

وقد ختمت الباحثة الدراسة، بخاتمة تم فيها عرض النتائج المستخلصة من هذا العمل المتواضع.

ومن أجل تجذير الصورة وإيضاح مكانة الفرس في وجدان الشعب الفلسطيني، قرأت الباحثة عددا من الكتب التي تناولت الأساطير القديمة، كما اعتمدت في ذلك نصوصا شعبية فلسطينية، ونصوصا قديمة أسطورية، متبعة المنهج الأسطوري، إضافة إلى المنهج التحليلي، في سبيل إماطة اللثام عن هذه الجذور القابعة في عمق التاريخ البشري، لتعتلي بعد هذا صهوة الصورة في الأدب الشعبي الفلسطيني.

وأخيرا، فهذا ما استطاعت الباحثة تحقيقه، فإن وفقت فالله سبحانه وتعالى ولي التوفيق، وإن أخطأت فهو سبحانه المنزه عن الخطأ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

الفرس لغة

يذهب كثير من الناس إلى الاعتقاد بأن كلمة فرس، تطلق على أنثى الخيل دون الذكر، وهو اعتقاد خاطئ؛ ذلك أن كلمة "فرس" يستوي فيها المذكر والمؤنث، هذا ما ذكره ابن منظور في معجمه "لسان العرب"، إذ يقول: " أما لفظ الفرس، فهو واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى فيه سواء، فيقال: "فرس أنثى وفرس ذكر"[1]، وأما قول العامة في جمع فرس فرسان فخطأ، إنما الفرسان جمع فارس[2]، ولا يُقال للأنثى فيه فَرَسة، فهو لفظ أُلزم التأنيث فصار في الكلام للمؤنث أكثر منه للمذكر حتى صار بمنزلة القَدم[3]. قيل لبعض الحكماء: أي الأموال أشرف؟ قال: " فَرَس تتبعها فرس في بطنها فرس"[4]. فمعنى إطلاقه على كليهما "أنه لا من الذكر فَيُذَكَّر ولا من المؤنث فيؤنث، وإنما هو كائن آخر من الكائنات التي كانت تكتفي بذواتها في العقائد القديمة ثم انشقت إلى شطرين لتدل على النقص الميتافيزيقي الذي جبلت عليه المخلوقات في حاجة بعضها إلى بعض من أجل التوالد وبقاء الأنواع"[5].

وسمى العرب الخيل فرسا، "لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثبانا، ويقطعها كالالتهام بيديه على شيء خبطا وتناولا"[6].

أما الحصان – بكسر الحاء– فهو الفحل من الخيل، والجمع حُصُن. والأنثى منه تسمى حِجْر، وهو من حَجر عليه أي منعه[7]، ولم يُدخلوا الهاء في هذه اللفظة؛ "لأنه اسم لا يَشْرَكها فيه

---

[1] ينظر ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فرس)

[2] ابن دريد: **جمهرة اللغة**، مادة (فَرَس)

[3] ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فرس)

[4] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت،ج1، ص107

[5] عبد البديع، لطفي: **عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976، ص212

[6] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ج4، ص33

[7] ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حصن)

المذكر، فاستغنوا عن الهاء، والجمع أحجار وحُجور"[1].

جاء في "حياة الحيوان الكبرى"، أن لفظ الحصان "بكسر الحاء المهملة، الذكر من الخيل"[2]. في حين ذهب ابن الأزهري[3] إلى أن لفظ الحصان هو للذكر والأنثى على حد سواء.

وسمي الفرس حصانا لأنه "ضُنَّ بمائه فلم يُنْزَ إلا على كريمة، ثم كثُر ذلك حتى سمَّوا كل ذكر من الخيل حصانا.."[4]. ويقال: فرس حِصان، أي بَيِّنُ التحصُّن، وهو مشتق من الحصانة الحصانة لأنه مُحْرِز لفارسه،[5] ويجمع على حُصُن[6].

ويرى الجاحظ أنَّه ما قيل للمدن والحصون حصون، إلا على التشبيه بالخيل؛ فيذكر للاستدلال على ذلك، أن رجلا قال لعبيد الله بن الحسن القاضي: إنّ أبي أوصى بثلث مالِه للحصون. قال: اذهبْ فاشترِ به خيلا، فقال الرجل: إنه إنّما ذكر الحصون!. قال: أما سمعتَ قول الأسْعَر الجُعْفيّ[7]:

(الكامل)

ولقد علِمت على تجنُّبيَ الرَّدى أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

وإذا نتجت الفرس فولدها أول ما يكون: مهر ومهرة، والجمع أمْهار ومهارة، فإذا بلغ السنة فهو فِلْو وفِلْوة. يقال: فَلَوْتُ المهر عن أمه وافْتَلَيتُه: فصلته عنها، والجمع أفلاء، فإذا أطاق الركوب قيل: جَذَع وجَذَعة، فإذا وقعت ثنيَّته قيل: ثّنيٌّ وثَنيَّة، وإذا طلعت رَباعيته فهو رَباع

---

[1] ابن سيده، علي بن اسماعيل: **المخصص**، دار الفكر، بيروت، د.ت، م2، السفر السادس، ص135

[2] الدميري، كمال الدين بن محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص235

[3] ينظر، الأزهري: **تهذيب اللغة**، مادة (صحن)

[4] ينظر، ابن دريد: **جمهرة اللغة**،ج2، ص165

[5] ينظر،ابن سيده، **المخصص**، م2، السفر السادس، ص135

[6] الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**، مادة(حصن)

[7] الجاحظ، عمر بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج1، ص345

وهي رَباعية، وإذا وقع السِّن التي تلي الرَّباعية فهو وهي: قارح، أما إذا تجاوز سن القروح بسنة واحدة فهو المذكي أي المسنُّ الذي تمَّ سنّه وكملت قوّته، والجمع المذاكي والمذكيات[1].

كما ويطلق لفظ الخيل على الفرسان، وعلى جماعة الأفراس، ولا واحد له من لفظه، فواحده فرس، في الحديث "**يا خيل الله اركبي**"[2]. هذا على حذف المضاف، أراد يا فرسان خيل الله اركبي، وهذا من أحسن المجازات و ألطفها؛ فإطلاق اللفظ على الأفراس والفرسان معناه أنهما في حكم اللغة لا يفترقان[3].

ومن هذا الباب قول المتنبي وقد ثَبَتَ فيه فرسان بني عمران على ظهور الخيل ثبات جلودها عليها، تعرفهم ويعرفونها[4]:

(الكامل)

الثابتين فُروسَةً كجلودها	**في ظهرها والطعن في لبّاتها**
العارفين بها كما عرفتهم	**والراكبين جدودهم أمَّاتها**
فكأنها نُتِجَتْ قِياماً تَحتَهم	**وكأنهم وُلِدوا على صهواتها**

والخاء والياء واللام عند ابن فارس أصل واحد يدل على حركة في تلون[5]. واسم الخيل مشتق من خال يخيل خيلا، واختال اختيالا، إذا كان ذا كِبر وخيلاء[6]. ذلك أن الخيلاء صفة في الخيل لا تكاد تفارقها[7]. من هنا يرى ابن فارس، أن المختال في مشيته يتلوَّن في حركته ألوانا[8].

---

[1] ينظر، ابن سيده، علي بن اسماعيل: **المخصص**، م2،السفر السادس، ص137-138

[2] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، 2000، ج2، حديث رقم2562

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (خيل)

[4] المتنبي، أحمد بن الحسين: **الديوان**، شرح أبي العلاء المعري، تحقيق عبد المجيد دياب، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص310

[5] ينظر، ابن فارس، أحمد بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (خيل)

[6] ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (خيل).

[7] ينظر، الدميري، **حياة الحيوان الكُبرى**، ج1، ص426

[8] ينظر، ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (خيل)

وقيل:"سميت خيلا لأنها مَوْسومَة بالعِزِّ فمن ركبه اعتز بنِحْلة الله له ويختال بــه علــى أعداء الله"[1].

والجواد هو الفرس السابق الجيِّد، يُقال: " جاد الفرس أي صار رائعــا يجــود جُــودة، بالضم، فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جياد وأجياد وأجاويد"[2]. من ذلك قول الشاعر[3]:

نَمَتْـــــهُ جــــواد لا يُبـــــاعُ جَنينُهـــــا

والخيل على قسمين: عِراب[4]، وبراذين: فالعِراب هي الخيــل العتيقــة الســليمة مــن الهُجْنِة[5]، والبراذين التي هي على خلاف ذلك"[6]، والبراذين على قســمين: "همــاليج وزوامــل. فالهماليج هي سريعة السير، المُعدّة لذلك. والزوامل هي التي يُحمل عليها المتاع. والواحد مــن الهماليج: هملاج، الذكر والأنثى فيه سواء، والواحد من الزوامل: زامل للذكر، وزاملة للأنثى"[7].

وإن كان الفرس من أبٍ عتيق وأم غير ذلك، فهو الهجين، وإن كان من أم عتيقــة وأبٍ غير عتيق، فهو المقرف[8].

وأما ما نتج عن تزاوج أنثى الفرس مع الحمار فيسمى بغلا، والأنثى منه تُسمى رَمَكة. ومعروف أن البغل، يجمع بين صلابة الحمار وعظم آلات الخيل، وفي صوته تــرى صـــهيل الفرس ونهيق الحمار، وهو عقيم لا يولد له[9].

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج4، ص32

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جود)

[3] ورد هذا البيت في **لسان العرب**، مادة (جود)، دون الإشارة إلى اسم الشاعر.

[4] سمي الخيل عربيا "لأنه جيء به من بعد آدم لإسماعيل جزاء عن رفع قواعد البيت، وإسماعيل عربي، فصار له نِحلــة من الله تعالى فسمي عربيا". القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ص33

[5] ينظر، ابن منظور :**لسان العرب**، مادة (عرب)

[6] ينظر، **المصدر السابق**، مادة (برذن)

[7] الهويمل، تركي بن سعد بن فهيد: **الخيل في ضوء القرآن الكريم**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– العلوم الشرعية –، السعودية، ع 19، 2011، ص320

[8] ينظر، الاسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب: **مبادئ اللغة**، ص113

[9] ينظر، الدميري: **حياة الحيوان الكُبرى**، ج1، ص138 و210و270و 138

الفصل الأول

صورة الفرس في الفكر الإنساني القديم

المبحث الأول

الفرس في الفكر الإنساني القديم

كثرت الأساطير التي تتحدث عن الفرس ومكانتها في حياة الإنسان، فبعد أن كانت وحشية تجوب البراري وتقض مضاجع الآلهة، أصبحت مع ترويضها و استئناسها، واحدة من أهم الحيوانات التي اكتسبت، في صورتها، طابعا رمزيا، يحمل جانبا من القداسة. "فقد سجلت الخيل حضورها على صفحات التاريخ منذ أقدم عهوده، ولا تكاد تخلو حضارة إنسانية من ذكر الخيل سواء أكان في أساطيرها وحكاياتها أم في واقعها العسكري والاجتماعي والاقتصادي"[1].

ففي الأسطورة اليونانية، تظهر القناطير[2] على هيئة مخلوقات نصفها إنسان والنصف الآخر حصان، كانت تعيث في الأرض فسادا، إذ تذكر لنا الأسطورة أن هرقل "عندما شاء عبور نهر إفنوس مع عشيقته دجانير، لقي على الضفة القنطورس (نيسوس) وكان يعين المسافرين على عبور النهر، فعهد إليه بدجانير ليحملها على ظهره فهرب بها قاصدا اختطافها فرماه هرقل بسهمه عبر النهر فقتله"[3].

من هنا يمكن القول إن القناطير كانت تمثل الجانب المتوحش للفرس قبل استئناسها، لتظهر بعد ذلك بصورة أخرى أكثر رقة.

وتعزو الأسطورة ترويض الخيل إلى هرقل، الذي قتل ديوميدس – أحد أبطال حرب طروادة الرئيسيين –، وجعل جسده طعاما للأفراس، وبهذه الطريقة روضها[4]. في حين تذهب

---

[1] الدغيشي، حمود خلفات: **معجم الخيل العربية الأصيلة**، ط1، دار جرير، عمان، 2010، ص7

[2] القناطير: نوع من المخلوقات الهائلة، جاءت في الأساطير على صورة كائنات لهم جذوع ورؤوس بشر، أما باقي أجسادهم فتخص الحصان.والصورة الأولى للقناطير تُبيِّنها عمالقة ذوو أجساد كثيفة الشعر، ثم رُسموا كرجال نصفهم السفلي حصان.وشكلهم النهائي لا يعود إلى أبعد من عصر النحات فيدياس. (انظر، **موسوعة تاريخ الأديان**، تحرير فراس السواح، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2005، ج3، ص149. وقد علل بعض الباحثين الأسطوريين ظاهرة الاعتقاد بوجود القناطير، بأن أهل تساليا – المدينة التي قيل إن القناطير كانت تسكنها –، كانوا مشهورين بالفروسية ولا يكاد أحدهم يفارق صهوة جواده، مما وحدهم في نظر الإغريق مع مطاياهم. ينظر، كامبل، جوزيف: **أساطير وحكايات عالمية**، ص 61.

[3] معلوف، شفيق: **عبقر: باثنى عشر نشيدا ومقدمة عن الأساطير العربية**، ط3، دار الطباعة والنشر العربي، البرازيل، 1949، ص84-85

[4] شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص149

أسطورة أخرى إلى القول: إن أثينا – ربة الحكمة والنقاء وسيدة الفنون عند الإغريق – هي من علّمت الناس كيف يروضون الخيول[1]. إلا أن الرواية العربية تنفي ما سبق، حين تنسب ترويض الخيل إلى سيدنا إسماعيل، يقول الدميري في ذلك:

"أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، ولذلك سميت بالعراب، وكانت قبل ذلك متوحشة كسائر الوحوش، فلما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل إني معطيكما كنزا ادخرته لكما. ثم أوحى الله إلى إسماعيل أن اخرج فادعُ بذلك الكنز. فخرج إلى أجياد وكان لا يدري ما الدعاء والكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرسا بأرض العرب إلا أجابته فأمكنته من نواصيها وتذللت له"[2].

ولا بد من القول، إن تعدد آراء الباحثين حول موطن الفرس الأصلي، يدلل على أهمية هذا الكائن ومكانته في الفكر البشري قديما وحديثا، فكل باحث يحاول نسب موطن الفرس إلى بلاده وحضارته.

ولم تكن الفرس بعيدة عن الطقوس الجنائزية، كيف لا وهي رمز الموت عند بعض الشعوب القديمة، حيث مُثلت المنية في شكل خيلي[3]، كما قامت الفرس في كثير من الأوقات مقام الغزال في التقاليد الجنائزية في الحضارة النطوفية[4].

ولإجراء طقوس الدفن والحرق للبطل باتروكلس – أحد أبطال حرب طروادة –، أمر أخيل فرسانه أن يدوروا بخيلهم ثلاث مرات حول المكان الذي يرقد فيه جثمان صديقه. وعند الصباح جمعوا كوما عظيما من الحطب، و وضعوا فوقه جثمان باتروكلس وحرقوا مع جثمانه أربعة من الخيل[5].

---

[1] ينظر، شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ص55

[2] الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، ج1، ص311

[3] ينظر، سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن –الأديان – الحياة**، ترجمة عبد الهادي عباس، ط1، سوريا، دار دمشق، 1992، ص58

[4] ينظر، السواح، فراس: **دين الإنسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، ط4، دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2002، ص161

[5] ينظر، غيربر، هـ.أ: **أساطير الإغريق والرومان**، ترجمة حسني فريز، وزارة الثقافة، عمان، د.ت، ص289

كما كان للتضحية بالفرس عند الهندوس، أهمية خاصة، "نظرا لتاريخه الطويل في الهند، ولما ينطوي عليه من مضامين سياسية، إذ يترك أحد الخيول المخصصة للتضحية بصحبة مائة من الجياد الأخرى مع حراس من المحاربين الفرسان – ويُترك الجميع يتجولون بحرية لمدة عام. ويحاول الأمراء الذين يتم التجوال في مقاطعاتهم الإمساك به أو قتله. وبذلك يعرضون المُضَحَّى لمكافأة إلهية غير سارة، أو يرغمون على الخضوع لسيادته العليا، ثم يُضحَّى بالجواد في نهاية العام، فتنتقل قوته المدَّخرة إلى الملكة، وهكذا يُضمن صحة المملكة والأسرة الحاكمة وازدهارهما"[1].

ومن عادة قبيلة "كومانشي"، وهي قبيلة هندية كانت تشتهر باقتنائها الخيول، أن أفراس الرجل الميت تقتل في العادة وتدفن معه حتى يتمكن من أن يركبها في بلاد الصيد السعيد. وليس هذا وحسب، بل كان أفراد هذه القبيلة يقصون شعر هذا الحصان، وكذلك شعر عنقه؛ ليُنثر على ضريح الميت، معتقدين أن ذلك يساعدهم في طرد شبح الميت من القبيلة[2].

وعند الإغريق كان الحصان يُقدم لإله البحر "بوسيدون"، لاعتقادهم بأنه حيوان مقدس ومفضل عند هذا الإله[3]. كما كانت الخيول تقدم قرابين في المهرجان العظيم في اليوم السادس من عيد أثينا الأكبر، فشباب أثينا الأكثر ثراء، كانوا يسوسون خيولهم الصغيرة القوية، ويتدثرون بمعاطف الركوب القصيرة، وخوذاتهم ذات الرياش، ودروع أرجلهم المعدنية اللامعة[4].

وفي أعياد الدروع والتروس التي كانت تقام على شرف الإله مارس – إله الحرب عند الرومان – كان حصان البطل في الحرب، يُقدم قربانا لهذا الإله، إذ كان دمه يستخدم في الطقوس السحرية للخصب [5].

---

[1] بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر،1996، ص172

[2] ينظر، فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ج2، ص182و 183و 186

[3] ينظر، **موسوعة تاريخ الأديان**، الكتاب الثالث، ص19

[4] ينظر، الماجدي، خزعل: **المعتقدات الإغريقية**، ط1، دار الشروق، عمان، 2004، ص346

[5] ينظر، بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص116

ولم يقتصر الأمر على الإغريق وحسب، بل كان ملوك يهوذا يقدمون الخيل قرابين للشمس. هذا ما جاء في سفر الملوك الثاني، الذي تحدث عن تطهير يوشا لبيت الرب، فكانت إبادة تلك الخيول، إحدى الأعمال التي قام بها يوشا للتخلص من نجس الوثنية: "**و أباد الخيل التي أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب، عند مخدع نَثْنَمْلَك الخَصِيِّ الذي في الأروقة، ومركبات الشمس أحرقها بالنار**"[1].

وفي وسط آسيا، "اعتاد الشامانيون[2] أن يضحوا بالخيل للموجودات السماوية؛ لأنهم هم وحدهم القادرون على قيادة الحيوانات التي يضحى بها إلى السماء"[3].

وللتعبير عن غياب مردوخ – كبير آلهة قدماء البابليين – كان البابليون يطلقون في اليوم السابع من نيسان، عربة فارغة تجرها الخيول[4]، وكأن تلك العربة جاءت من السماء لتعبر عن الفوضى الناتجة عن غياب الفارس. ولهذه الأسطورة صداها في العصر الحديث، ففي الموكب الجنائزي للملك حسين بن طلال، ملك الأردن، ظهر فرس الملك وحده متقدما الموكب الجنائزي، ولسان حاله يقول: ها هو فارس البلاد قد ترجل ورحل للأبد.

كما استُخدمت الخيول، وسيلة لإنزال العقاب على من تغضب عليهم الآلهة، تماما كما حدث مع غلوكوس، حين قتلته أفراسه لأن الأرباب غضبت منه؛ لإطعامه تلك الأفراس لحما بشريا[5].

---

[1] **الكتاب المقدس**، سفر الملوك الثاني، إصحاح 23،، آية 11

[2] الشامان:"شخص يشتغل بالتطبيب، والكهانة والسحر، مستعينا بقوته على التحكم في القوى الفائقة للطبيعة، وكانت الكلمة في الأصل تُشير إلى تلك الشخصية بين قبائل آسيا وسيبيريا، ثم أصبحت تُطلق على من يقوم بهذه الوظائف عند كل الشعوب البدائية. وكثيرا ما يلجأ الشامان في عمله إلى استخدام الحيل، ومهارة اليد، والتنويم". بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص28.

[3] المرجع السابق، ص29

[4] ينظر، الماجدي، خزعل: **إنجيل بابل**، ط1، دار أزمنة للنشر، عمان، 1999، ص320

[5] ينظر، شابيرو، ماكس:**معجم الأساطير**، ص107

ومن زاوية أخرى، شكل الحصان رمز القوة عند بعض الشعوب؛ ففي الهند كان الفرس شعارا للملكية كالفيل، إذ مثل، أحيانا، موضوع قربان فخري لبوذا، في حين كان علامة للسلطة والنبالة في مملكة آشور[1].

وفي التوراة، يُمثل الفرس، رمز قوة مجيدة، وامتطاؤه يعني التلويح بالحرب، بعكس الحمار، رمز الضعة واللين، وامتطاؤه لا يكون إلا في السلم:

"**ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا مَلِكُكِ يأتي إليك. هو عادل ومنصور ووديع، وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان. وأقطع المركبة من أفْرايم والفرس من أورشليم و تُقْطَع قوس الحرب**"[2].

أما في الإنجيل، فإن تصوير إنسان ساقط عن حصان، كما هو في إحدى الكنائس، يعني "الغطرسة في التصورات القروسطية للمنكرات، والفضائل، أو أنه يعني في أكثر الاحيان، القديس بولس على طريق دمشق[3].

كما شكلت حدوة الفرس، رمزا للحظ الجيد عند الإغريق؛ لأنها مصنوعة من الحديد الذي يعتقدون أن به قدرة لردع الشيطان، وقد اتخذت شكل هلال القمر الذي اعتبر رمزا للخصب والحظ الجيد. وقد أخذ الرومان حدوة الفرس عن الإغريق، عادّين وظيفتها المزدوجة في حدي الأحصنة وردع الشيطان والأرواح الشريرة.

وعن طريق الرومان الوثنيين انتقل الاعتقاد بخاصية الحدوة السحرية، إلى المسيحيين الذين أقاموا حولها أسطورة القديس دونستان، حين أتى إليه رجل، وطلب منه أن يحدي له قدميه، مما أثار الشك لدى دونستان بأن السائل هو الشيطان، خاصة وأن له أظلافا مشقوقة، لذلك، قال له إن عليه أن يعلقه مقيدا إلى الحائط ليستطيع إنجاز العمل. وعلى نحو متعمد، أنجز

---

[1] ينظر، سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن – الأديان – الحياة**، ص 59

[2] **الكتاب المقدس**، سفر زكريا، الإصحاح التاسع، أيه 9-10

[3] سيرنج: **الرموز في الفن – الأديان – الحياة**، ص59

دونستان عمله، مكيلا العذاب والآلام للشيطان، مما جرّ الأخير إلى توسل الرحمة، لكن دونستان رفض تحريره قبل أن يقسم بأنه لن يدخل قط أي منزل وضعت حدوة حصان على بابه[1].

ولما بلغ الخوف من السحر في القرون الوسطى ذروته، أولى الناس الحدوة المزيد من الاهتمام. "فاعتقد أناس تلك الحقبة أن الساحرات يسافرن على المكانس لأنهن يخشين الأحصنة وأي شيء يُذكر بها، مما يجعل للحذوة قوة ردع السحر. وقد زاد الناس في اعتقاداتهم حول الحدوة فوضعوا على تابوت المرأة المتهمة بامتهان السحر حدوة الحصان لتمنعها من الانبعاث من جديد. كما اعتقد صانعوا الحدوات في روسيا أنهم قادرون على ممارسة السحر الأبيض لمواجهة السحرة ورعاية قسم الزواج وعقود العمل، فلم يكن ذلك يُؤدى على الإنجيل بل على سندان الحداد الذي عليه تصنع الحدوات"[2].

وقد ربط القدماء الفرس بالحكمة والتنبؤ بالمستقبل، فكأن هذا الكائن بجريه، يسابق الحاضر لينتقل بخفة إلى المستقبل، فيطلع على الأسرار وتتكشف أمامه الأهوال.

فنظرا لقدرة أوسيوهو – ابنة القنطور خيرون – على التنبؤ بالمستقبل، حوّلتها الآلهة، كما تخبرنا الأسطورة الإغريقية، إلى مهرة: " **لقد كانت مقدرتي على التنبؤ مبعث غضب الآلهة عليّ حتى تمنيت لو أني جهلت المستقبل. إنني أرى وكأنني فقدت هيئتي البشرية وصار عشب المراعي غذائي، والركض في السهول الفسيحة متعتي، وتحوّلت صورتي إلى صورة فرس بفعل الوراثة. ولكن لماذا أغدو فرسا خالصة، بينما أبي نصف بشر؟**"[3].

كما تظهر قدرة الفرس على التنبؤ، بوضوح كبير، في الأسطورة الصينية، فقد كان اليونيكورن – الحصان وحيد القرن –، أول من تنبأ بميلاد الفيلسوف كونفوشيوس. وستقف الباحثة عند هذه الأسطورة في الصفحات القادمة، حين تتحدث عن علاقة الفرس بالمرأة.

---

[1] ينظر، باناتي، تشارلز: **قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء**، ترجمة مروان مسلوب، ط1، دار الخيال، لبنان، 2003، ص15-16

[2] المرجع السابق، ص16-17

[3] أوفيد: **مسخ الكائنات:ميتامورفوزس**، ترجمة ثروت عكاشة، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص124

وفي الأسطورة الروسية، اشتهر الحصان الأبيض بقدرته على التنبؤ بأحداث المستقبل، من خلال الجري بين الرماح المغروسة في الأرض[1].

وكان الفرس من خير العطايا التي يمكن أن تجود بها الآلهة على البشر، إذ تخبرنا الأسطورة اليونانية أن نبتون قدم لشعب أثينا فرسا عجيبا، أخرجه من الشق الواسع من أعلى تلة. وكان أبيض اللون، ناصعا كالحليب، له عنق طويل مقوس، وعُرْف جميل[2]، وذيل من حرير. فقال نبتون:"**هذه هديتي لكم، وهي من أفضل الهدايا، التي تُهدى للرعايا المتَّقين، فهذا الحيوان سيقتحم – عندما تمتطون صهوته – صفوف الأعداء في أيام الحرب، وفي أوقات السلم ستحمِل بعض أنواعه أثقالكم، وتجرُّ عرباتكم ومركباتكم. والأصائل من الخيول ستعتلون ظهورها أعزاء كراما، وتسابق بكم الريح..**"[3].

كما كانت الجياد الأصيلة تقدم هدية للسلام وإبعاد شبح الحرب عن البلاد. ففي ملحمة كرت الأغاريتية[4]، نرى فابل، ملك أدوم، يطلب من كرت، قائد الحملة العسكرية التي توجهت إلى بلاده، أن يأخذ جيادا أصيلة مقابل منح بلاده السلام، إذ يقول في ذلك[5]:

"**خذ جيادا أصيلة وعربات**

خذها يا كرت تقدمات سلام"

وقد وصل اهتمام القدماء بالفرس حدا جعلهم يضعونه في منزلة البيت والزوج والأولاد. فحين بعث الملك الكشي بورنابورياش الثاني – أحد ملوك بابل–، رسالة إلى الفرعون المصري أخناتون، سأله فيها عن حاله قائلا[6]:

---

[1] ينظر، شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ص234

[2] عُرف الديك والفرس والدابة وغيرها: منبت الشعر والريش من العنق. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عرف)

[3] بالدوين، جيمس: **أقاصيص من الأساطير اليونانية**، ترجمة جميل منصور، دار العراب، دمشق، 2011، ص181–182

[4] تستعرض هذه الملحمة أحداث الحملة العسكرية المتوجهة إلى مملكة أدوم الواقعة إلى الجنوب من البحر الميت للحصول على العذراء "حورية"، ابنة فابل ملك أدوم التي وعده بها إيل. ينظر، السواح، فراس: **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2006، ص67

[5] السواح، فراس: **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ص 67

[6] علي، فاضل عبد الواحد: **سومر أسطورة وملحمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت، ص281

"عسى أن تكون أنـــت وزوجاتـــك وأولادك

ونبلاؤك وخيلك وعرباتك بأحســـن حـــال"

ولعل هذا الاهتمام الكبير بالفرس عند الأمم المختلفة، يعود إلى إيمانهم العميق بأن هـــذا المخلوق سيلعب دورا مهما في معركة آخر الزمان، التي تناولتها الأساطير وعرجـــت عليهـــا الكتب السماوية. فهي معركة فاصلة بين الخير والشر، سيشكل فيها الفرسان مع أفراسهم عاملا أساسيا في حسم تلك المعركة[1].

وإذا اصطحبنا الفرس في جبهات القتال مع تتابع العصور، نجده يسجل تاريخا لم تسجله دابة أخرى. وقد اعتبرت آشور – كما تشير مصادر التنقيب – أول مدينة اســـتخدمت الفـــرس سلاحا في حروبها وفي مواكبها الملكية[2].

كما ويرجع نجاح الحثيين العسكري، إلى استخدامهم الحصان والمركبة سلاحا رئيســـا، فقد كانوا – أي الحثيون – من أوائل سادة الفرسان وراكبي الخيل.[3]

أما المصريون القدامى، فقد عرفوا الخيل على يد الهكسوس، حيث أطلقوا عليهـــا اســـم الجميل، كما استُخدم الجواد الذي يجر العربة القتالية، في معظم الغزوات التي خاضتها مصر في أيام الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة [4].

كما شغلت شخصية الفارس جانبا من التفكير الشعبي في مصر منذ وقت طويل: " ففـــي العهد القبطي نجد "مار جرجس" ممتطيا جواده وهو يصارع التنين. وهناك لوحة محفورة علـــى الحجر في متحف في القرن الرابع الميلادي تقريبا تمثل "حورس" راكبا جـــواده، وهـــو يقتـــل بحربته التمساح"[5].

---

[1] ينظر، السقا، أحمد: **يوم الرب المسمى معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقـــرآن**، ط2، دار الكتـــاب العربـــي، دمشق، 2004، ص60–61، و 270.

[2] ينظر، الدغيشي، حمود خلفات: **معجم الخيل العربي الأصيل**، ص7

[3] ينظر، زكي، عبد الرحمن: **الخيل في السلم والحرب عند العرب**، مجلة الدارة، السعودية، مج4، ع1، 1978، ص96

[4] ينظر، المرجع السابق، ص96

[5] الخادم، سعد: **الفنون الشعبية**، المجلة – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ع3، 1957، ص50–51

ولتأكيد مكانة الفرس في الفكر الإنساني، لابد من الوقوف على العلاقات التي جمعته مع رموز مقدسة، مثل المرأة والسماء، والماء.

أولاً: الفرس والمرأة

تتضح علاقة الفرس بالمرأة في الفكر الإنساني القديم، من خلال الأساطير، التي تُعد،"من أقدم مقومات التراث البشري، لاسيما أنها أصبحت نوعا من الخلاصة الفكرية التي حظيت بالقبول بوصفها مزيجا من المعتقدات والمواقف والمشاعر...وهي تُمثل مرحلة من مراحل تطور العقل البشري فهي في واقعها تُعبر عن أقدم التجارب الشاملة للبشرية"[1].

هذا ما نجده في تلك العلاقة التي ربطت الفرس بالمرأة، فأول ما يطالعنا في هذه العلاقة، أسطورة بيجاسيوس، ذلك الحصان الرشيق الذي ولد من دماء الميدوسا[2]. والميدوسا، كما تخبرنا الأسطورة الإغريقية، هي فتاة جميلة، اغترت بنفسها وزعمت أنها أجمل فتاة في الكون، فكان عقابها أن تحولت إلى حيوان قبيح الخلقة[3].

ولليونيكورن (الحصان وحيد القرن)، قصة أخرى مع المرأة، ففي الميثولوجيا الإغريقية، يظهر هذا الكائن الخرافي، برأس وجسد حصان أبيض، يمتلك أرجلا لأيّل وذيل أسد وقرنا وحيدا، وبالرغم من مظهره الرائع وجماله، إلا أنه يقاتل بوحشية وعنف، ومن المستحيل الإمساك به إلا بلمسة أنثى عذراء[4].

تضعنا هذه الأسطورة أمام تساؤلات كثيرة: فما السر الكامن وراء لمسة أنثى عذراء؟، وما معنى العذرية في الميثولوجيا القديمة؟ ولماذا ركزت الأسطورة على عذرية الفتاة؟، وهل هناك علاقة بين اللون الأبيض في الحصان والفتاة العذراء؟.

---

[1] الجبوري، صلاح سليمان رميض: **أدب الحكمة في وادي الرافدين**، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 2000، ص76

[2] ينظر، شنوت، نور صاحب: **موسوعة الأساطير والقصص**، دار دجلة، عمان، 2008، ص 150

[3] ينظر، المرجع السابق، ص 44

[4] نفسه، ص 155

ربما كانت لمسة الفتاة للحصان السبب في نثر سحر الحب عليه، فأخضعته كما أخضعت ابنة الشمس العذراء، راعي الأغنام. ففي أسطورة "الراعي وعذراوات الشمس"[1]، نرى راعي الماشية البيضاء، التي كانت تُخبَّأ لتقديمها قرابين إلى إله الشمس، يصاب بالذعر حين شاهد تلك العذراوات، فما كان منه إلا أن أطلق ساقيه للهرب، خوفا من سحر جمالهن عليه، إلا أن العذراوات استطعن إخضاعه بلمسة حانية منهن على ذراعه. فهل كانت العذراء في أسطورة اليونيكورن، هي إحدى بنات الشمس، خاصة وأن الميثولوجيا ربطت بين الفرس والشمس ربطا وثيقا؟. هذا ما سيتم الحديث عنه في الصفحات اللاحقة، حين تأتي الباحثة على علاقة الفرس بالسماء.

ولا غرابة أن تكون تلك العذراء هي عشتار، إلهة الطبيعة و سيدة الحيوان التي كفلته بالرعاية والحماية[2]. يدلل على ذلك أمران:

أولا: أن عشتار كثيرا ما تحدثت عن نفسها بصفتها عذراء، من ذلك قولها[3]:

أنا العذراء سأتزوج المزارع...

وفي نص آخر تصف نفسها قائلة[4]:

أنا الأول، وأنا الآخر

أنا البغي، وأنا المقدسة

أنا الزوجة، وأنا العذراء

وفي نص ثالث، وجد في معبد من معابد الخصب الكنعاني، يتحدث عن ولادة ابن عشتار:" **ها هي العذراء تَلِدُ ابنا والنور ينتشر**"[5].

---

[1] ينظر، شنوت، نور صاحب: **موسوعة الأساطير والقصص**، ص65-70

[2] ينظر، السواح، فراس: **لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 1985، ص146

[3] السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى دراسة في الاسطورة – سوريا وبلاد الرافدين**، ط4، دار الكلمة، بيروت، 1985، ص212

[4] السواح، فراس: **لغز عشتار**، ص 7

[5] المرجع السابق، ص175

ثانيا: تكمن أهمية العذراء في هذه الأسطورة، باعتبارها وسيلة في عملية الصيد المقدس[1]، أو ما يسمى ب"صيد العذراء"، وهذا ما كانت تفعله عشتار، صاحبة السيادة، القادرة علـــى اصـــطياد الإنسان والحيوان بسهام عينيها أو نظراتها السحرية[2]، فتوقع من تشاء بشـــباكها. ففـــي بعـــض النصوص نراها تصف نفسها قائلة[3]:

أنـــا صـــاحبة الســـيادة، أنـــا الشـــبكة المتســـعة

المنشـــــــورة فـــــــوق ســـــــهل الأشـــــــباح

أنا الشبكة ذات العقد المتقارب المنصوبة في السهل

وفي نص آخر تقول[4]:

من باستطاعته الوقوف أمامي، ومن يستطيع

الوقـــــــــــــــوف خلفـــــــــــــــي؟

من يستطيع تحاشي النظـــرة التـــي ألقـــي؟

من يستطيع الفرار عنـــدما أبـــدأ مســـيرتي؟

وما اللون الأبيض في اليونيكورن إلا دلالة واضحة على قدسية هذا الكائن، فكثيرا مـــا يرمز اللون الأبيض إلى الطهارة والنور الإلهي[5]، فلا غرابة إن وجدنا بعض الكنـــائس تـــدعي

[1] كان هذا الصيد من الشعائر الدينية القديمة في جميع الممالك والمجتمعات، ففي آشور،على سبيل المثال، كانـــت الأســـود تُحفظ في أماكن خاصة تُطلق منها إذا رغب الملك في صيدها وتقديمها للمعبد. وفي بابل ظهر الاهتمـــام بالصـــيد علـــى الأختام البابلية، التي تميزت بمناظر صيد الحيوانات. كما تدل الرسوم المنقوشة على الصخور على أن أهل مصـــر، فـــي عصر ما قبيل الأسرات، كانوا صائدي حيوانات ماهرين وذلك بدافع الحاجة. أما فـــي العصـــر التـــاريخي فقـــد اســـتمر المصريون في صيد الحيوانات، ليس لقصد التسلية، وإنما دفاعا عن أنفسهم،ولكي يمدوا المعابـــد بالحيوانـــات للتقـــدمات والقرابيين، ولذلك يرى الشخص في المعابد مناظر غزلان مقطوعة الرقاب، ومناظر أفراس النهر مقطعة الأوصال. ينظر، علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص217–218

[2] الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجـــاهلي**، ط1، مجمع القاسم للغة العربية، باقـــة الغربيـــة، 2013، ص100

[3] **ديوان الأساطير–سومر وأكاد وآشور–**، ترجمة قاسم الشواف، ط1، دار الساقي، بيروت، 1997، ج3، ص279

[4] المرجع السابق، ص279

[5] نوفل، يوسف حسن: **الصورة الشعرية والرمز اللوني**، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص22

ارتباط هذا المخلوق بالعذراء مريم، وفي طوائف أخرى يترافق بذكر المسيح عليه السلام بصفته مصلحا.

من هنا اعتبر النصارى هذا المخلوق رمزا خاصا بالتقوى ونبذ الملذات، حتى أصبح شعارا للنبلاء في العصور الوسطى.

وقد يكون لهذه الأسطورة أصل في الحكايات والقصص المنسوبة إلى أوروبا الوثنية حيث كان ذَكر آلهة الخصوبة ذا قرن واحد.

ولم تقتصر أسطورة اليونيكورن على الميثولوجيا اليونانية، فقد ظهرت هذه الأسطورة في الأدب الصيني، الذي يروي لنا ظهور هذا الكائن لامرأة شابة اسمها "يين تشين زاي". كانت حسب ما ترويه لنا الحوليات الصينية القديمة، تصلي في أحد المعابد، وكانت تثابر على زيارة ذلك المعبد بانتظار أن يمُنَّ الله عليها بمولود ذكر. وبينما هي معتكفة في ذلك المعبد الجبلي النائي، ظهر لها على حين غرة كائن اليونيكورن وركع قبالتها وألقى بين يديها قطعة من الأحجار الكريمة. وعندما تفحصت المرأة الحجر وجدت منقوشا عليه عبارة تقول، إن ابن الماء سيولد قريبا وسيخلد المملكة، ليكون ملكا بلا تاج!.

بعد ذلك بفترة وجيزة تحققت نبوءة الكائن الأسطوري وحملت المرأة الشابة ب"كونغ فوتسي" الذي يعرف باسم الفيلسوف "كونفوشيوس"[1].

وللفرس بشكل عام حكاية أخرى مع عشتار، فلكل منهما – الفرس وعشتار– وجهان متناقضان: وجه للحرب والدمار، وآخر للحب والسلام.

فبرامسافا (الحصان العظيم)، يظهر في الديانة البوذية على شكل حصان، له أربع أرجل ضخمة، واللون المفضل عنده اللون الأحمر، وقد اتُخِذ من القوس، ورأس الحصان، واللوتس

[1] ينظر، غونزال، أيمن: أسطورة اليونيكورن– الحصان الأحادي القرن، 20 اكتوبر، 2012، الموقع الالكتروني: www.wond23.blogspot.com

رموزا له[1]. وبين الحرب (القوس)، والسلام (زهرة اللوتس)، يقف رأس الحصان؛ ليجمع بين الأمرين. وهو جمع ظهر في عشتار، إلهة الحب والحرب.

ولم يكن بيجاسيوس (الحصان المجنح)، يستخدم للمتعة فقط، بل كان مساعدا قويا ومحاربا شجاعا، يظهر في المحن التي كانت تنتظر ممتطيه ومروضه بلروفون[2].

كما وتتمثل صورة الدمار أيضا في اتخاذ الفرس وسيلة أساسية في الحرب التي كانت عشتار ربتها وصاحبة السيادة فيها. ففي النقوش الكنعانية تظهر عشتروت في إحدى المسلات على شكل "مقاتلة عارية تمطتي صهوة فرس مشدود العنان إلى جسدها وهي ترمي نبلة من قوس على الأعداء. وهناك مشهد آخر لها وهي عارية وفي عنقها القلادة، وفي أصابعها الخواتم، وتمتطي جوادا وتلوّح بسلاح في يدها"[3].

وقد ارتبطت صورة الدمار هذه باللون الأسود عند الحصان، فمطية آلهة العالم السفلي – عالم الموت والفناء – هي الحصان الأسود، ف "هيبدس" – إله العالم السفلي عند الإغريق – خطف "برسيفونه"[4]، بمساعدة أربعة جياد سود، تجر مركبة داكنة، غاص بها إلى أعماق العالم السفلي الذي لا تشرق عليه الشمس أبدا[5].

وقد مر بنا سابقا أن أثينا – إلهة الحكمة وسيدة الفنون – كانت أول من علم الناس كيفية ترويض الخيول واستخدامها في الزراعة[6].

---

[1] إمام، إمام عبد الفتاح: **معجم ديانات وأساطير العالم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، م3، ص98

[2] ينظر، هاملتون، أديث: **الميثولوجيا**، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م، 1990، ص206

[3] الماجدي، خزعل: **إنجيل بابل**، ص66

[4] ترمز برسفونه لحبة القمح التي تبقى مدة تحت التراب ثم تظهر. وهي ابنة ديميتر، الإلهة التي تعتني بكل النباتات والفاكهة وبذور الأرض. ينظر، كامبل، جوزيف: **أساطير وحكايات عالمية**، ص109 و116. وقد أطلق بعض الباحثين على هذه الأسطورة اسم الخطف المقدس. ينظر، **موسوعة تاريخ الأديان**، الكتاب الثالث، ص 136

[5] ينظر، **موسوعة تاريخ الأديان**، تحرير فراس السواح، ص110

[6] ينظر الرسالة، ص12

وفي مقابل صورة الحرب والدمار، تلمع صورة أخرى، تعبر عن ارتباط الفرس بالحب والسلام، ففراي (رب الخصب والأنهار عند الروس)، استطاع نشر السلام معتمدا على مقومات ثلاث، منها حصانه البلوديهوفر (الحافر الدامي)[1].

ومن المعتقدات الروسية، أن رب الحب والعاطفة وسيد نبات الربيع عند الروس (ياريلو)، يظهر مع بداية كل ربيع، متلفعا بالبياض، ممتطيا حصانه الأبيض، فتستقبله الفتيات بالغناء والرقص، وتقيم على شرفه مهرجان الأزهار[2]. وهذا ما يدفع الباحثة إلى التساؤل التالي: هل للحصان الأبيض في هذه الأسطورة علاقة بفارس الأحلام للفتاة – في يومنا هذا – التي كبرت، وهي تسمع من حولها يقولون لها إنه سيأتي، يوما ما، على حصانه الأبيض ليخطفها من أهلها؟.

وفي أساطير الحب نرى البطل يمتطي حصانه ليحوز على محبوبته، فقد تغلب بيلروفون على جميع الأخطار بمعونة بيجاسيوس، الحصان المجنح، فأعطاه الملك ابنته ونصف مملكته[3].

ولاسترجاع هيلين (زوجة ملك طروادة التي خطفها باريس، نشأت بسبب ذلك حرب طروادة)، لجأ الإغريق إلى استخدام الحصان[4]، خدعة استطاعوا من خلالها إنهاء الحرب التي دامت عشر سنوات. فالمتتبع لهذه الأسطورة سيرى أن الحرب نشأت بسبب امرأة، لتنتهي أخيرا بفضل حصان.

---

[1] ينظر، شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ص101

[2] ينظر، المرجع السابق، ص267

[3] ينظر، المرجع السابق، ص62

[4] حصان طروادة:حصان أسطوري صنعه أبيوس واختبأت فيه جماعة من أبطال الإغريق المحاربين خلال حرب طروادة التي شنها الإغريق بقيادة أجامنون على ملك طروادة برياموس، واستمرت عشر سنوات كاملة، حيث أودت بحياة عدد كبير من الأبطال قبل أن تسقط طروادة في السنة العاشرة. وقد كان لحصان طروادة الفضل في إنهاء المعركة لصالح الإغريق. فبعد الانتهاء من صنعه تظاهر الإغريق بالرحيل على سفنهم فخرج الطرواديون واعجبوا بهذا الحصان الغريب، وأدخلوه إلى مدينتهم. وفي أثناء الليل خرج الفرسان المختبئون داخل الحصان ففتحوا أبواب المدينة للإغريق الذين كانوا قد عادوا سرا، فسقطت طروادة في أيديهم. ينظر،شنوت: **موسوعة الأساطير والقصص**، ص33

وإذا أتى الباحث على قضية تشبيه المرأة بالفرس، وهو تشبيه شائع في يومنا هذا، سيجد أن جذور هذا التشبيه قديمة، ففي سفر نشيد الإنشاد، يشبه الملك سليمان محبوبته بفـــرس فـــي مركبات فرعون.

"لقد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون

مـــــا أجمــــــل خـــــديك وعنقـــــك بقلائـــــد

نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة"[1]

يبدو أن فرعون كان ينتقي لمركباته من الخيول أحسنها وأكثرها جمالا ورشـــاقة، هـــذا فضلا عما كان يزينها به لتبدو كاملة الجمال، فتظهر كفتاة تختال في مشيتها، وتتفاخر في حليها وزينتها.

ثانياً: الفرس والسماء

احتلت السماء مكانة خاصة عند الإنسان منذ القدم؛ فهـــي مـــوطن الأجســـام المتلألئـــة اللامعة، تمن عليه بالضوء ليلا ونهارا، وفيها تتمركز آلهته المسيطرة على العالم.

ولأن السماء عالية، لا تطالها اليد ولا تعلم كنهها العين، كان الإنسان قديما يحاول تقريب صورة السماء، عن طريق ربطها بأشياء محسوسة ملموسة؛ ليفسر كثيرا مـــن تلـــك الظـــواهر المنتشرة في الفضاء.

فالخط الثابت لمسيرة الشمس في السماء، كان واحدا من الظواهر التـــي جـــذبت نظـــر الإنسان القديم، إذ اعتاد على رؤيتها تشرق كل صباح من مكان معين، لتختفي آخر النهار خلف الجبال، أو تهبط إلى أعماق البحار، دون أن تحيد عن مسارها قيد أنملة. وقد دفعت هذه الظاهرة الإنسان إلى التساؤل والتفكير في السر الكامن وراء هذا النظام، فأطلق العنـــان لمخيلتـــه التـــي رسمت له الآلهة وهي تقود الشمس بعربة تجرها الجياد.

---

[1] **الكتاب المقدس**، سفر نشيد الإنشاد، آية 9–11

ووفق هذا المعتقد، تذهب الأسطورة الهندية إلى إظهار سوريا (Surya) – إله الشـــمس عند الهنود – وهو يقود عربته النارية ذات العجل الواحد تتقدمها سبعة جيـــاد؛ لتجرهـــا عبـــر السماء[1].

أما درابوغ – إله الشمس والنار في الميثولوجيا الروسية – فكان يقطع قنطرة الســـماء بعربة براقة تجرها خيول وحشية[2]. ويخبرنا الأدب الصيني القديم، عن الوسيلة التي كانت تسلك بها الشمس بعد الغروب طريقها، عائدة إلى نقطة البدء الشرقية:

وعندما أحث خيلي في بطء إلـــى الأمـــام

يضيء ليل الســـماء ويـــأتي النهـــار...[3]

وكذلك الامر في الأسطورة المصرية، حيث كان هيلوس – رب الشمس – يعبر يوميـــا السماء في مركبته الذهبية تجرها أربعة جياد[4]، يضاف إلى ذلك، أن "مصرام"، وهو أحد ملـــوك مصر القديمة، "بنى للشمس هيكلا من المرمر وموهه بالذهب، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر، وأرخى عليه وعليها حلل الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الريحان..."[5].

في حين يظهر الحصان، في الميثولوجيا الكنعانية، حاملا على ظهره قـــرص الشـــمس المجنح. "وهذا القرص هو رمز للإله الأعلى في معظم الثقافات الشرقية. أمـــا الحصـــان فهـــو

---

[1] ينظر، بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص170

[2] ينظر، شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ص84

[3] كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، د.م، 1974، ص355.

[4] ينظر، شابيرو، فيليب: **معجم الأساطير**، ص116

[5] المسعودي، علي بن الحسين بن علي:**أخبار الزمان ومن أباده الحِدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1978، ص141

مركبة الإله الخفي الذي يرمز القرص إلى حضوره في العالم، وهو هنا إما يهوه أو بعل، فكــلا الإلهين حل في فلسطين محل الإله إيل في سياق الألف الثاني قبل الميلاد وما تلاه"[1].

وفي الميثولوجيا الإغريقية، كان يلقى على عاتق أبولو– إله الشمس والطب والموسيقى – التحكم بالجياد الأربعة التي كانت تجر الشمس، لأن أي انزياح عن المسار سيؤدي إلى كارثة حقيقية لأهل الأرض، هذا ما حدث حين تولى فيتون – ابن أبولو– قيادة عربة الشــمس، لكنــه أساء استخدام الخيول، لما ضربها بالسوط مما أدى إلى اقتراب عربــة الخيــول مــن الأرض، فتحول لون البشر الذين يقطنون تلك المنطقة إلى اللون الأسود، ولما اضطرب فيتون وأصــابه الجزع، راح يضرب الخيل مجددا بالسياط، فازدادت ضلالا وبعــدا عــن مــدارها، حتــى إن الخضرة التي لم يذهب بها الحر الشديد، هلكت بالبرد القارس[2].

ويبدو أن القدماء اتخذوا من الأسطورة السابقة مادة يفسرون بها التفاوت اللــوني عنــد البشر، واختلاف درجات الحرارة من منطقة إلى أخرى. فعزوا هذا الاختلاف إلى انزياح خيول عربة الشمس عن مدارها المعتاد، حين أهينت بضربها ضربا مبرحا.

إن اعتقاد القدماء بأن الخيل مسؤولة عن حركة الشمس، لم يأتِ من فراغ، فقــد جــاء القرآن الكريم والدراسات الحديثة لتؤكد بأن حركة الشمس في سيرها تشبه جريان الخيــل فــي حلبة السباق. ففي قوله تعالى: "وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ"[3]. دليل على أن الشمس لا تدور دورانا، بل تجري جريا حقيقيا؛ فقد اكتشف العلم الحديث أن للشمس حركــة اهتزازية للأعلى وللأسفل، ولذلك فإن الشمس تبدو وكأنها تصعد وتنزل وتتقدم للأمام.

وقد تأمل العلماء حركة جريان الخيول في السباق، فوجدوا أن المنحنى الــذي يرســمه الحصان في جريانه يتطابق مع ذلك المنحنى الذي ترسمه الشمس في جريانها [4].

---

[1] السواح، فراس: **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ص80

[2] ينظر، أسطورة فيتون. غيربر،أ.ه: **أساطير الإغريق والرومان**، ص53–57

[3] سورة **يس**: الآية 38

[4] ينظر، الدوري، يعرب قحطان عبد الرحمن: **شذرات علمية في القرآن الكريم – هل الشمس تجري أم تــدور؟**، مجلــة آفاق الثقافية والتراث، الإمارات، مج18، ع72، 2010، ص126–127

وليس غريبا ان نجد العرب يسمون الشمس جارية[1]، فهل جاء هـذا كلـه مـن قبيـل المصادفة؟!.

وإذا عدنا إلى الأسطورة، سنجد أن الجياد لم تقتصر على جر عربة الشمس فحسب، بل كانت أيضا تقود عربة القمر التي تركبها أرتميس – إلهة القمر عند الإغريق –.

"**فـفي كل مساء، عندما تنتهي الشمس من مجراها، تمتطي أرتميس عربـة القمـر وتسوق جيادها البيض، وتجتاز السماء حيث النجوم التي لا تحصى تراقبها وتحبها...**"[2]

وفي الأسطورة الهندية يلقى على عاتق سوما – إله القمر – مهمة إنارة العالم، وطـرد الأمراض والأعداء، فيلجأ إلى جياده العشر؛ لمساعدته في إتمام هذه المهمة[3].

ولعلنا نستنتج مما سبق، أن الفرس كان مطية آلهة السماء، نظرا لقداسته، وقدرته علـى الجري والوقوف في وجه كل عدو، يمكن أن يزعزع أمن الآلهة والبشر على حد سواء.

وفي علاقة الفرس بالسماء تظهر أسطورة الحصان المجنح (بيجاسيوس)، التي انتهـت بارتقاء هذا الحصان إلى السماء؛ ليصبح واحدا من الكواكب الثمانية والأربعين[4]. ويُعرف هـذا الكوكب في وقتنا الحالي باسم كوكبة الفرس الأعظم[5].

أما برج القوس، فيظهر على شكل سنتور يرمي بقوسه، وهو غالبا ما يتم نحتـه علـى الكنائس المسيحية، خاصة الكنائس القوطية. وربما كان ذلك يمثل سمو الرقة والدين على العنف الوثني، ومحاربة الشيطان[6].

---

[1] ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جرا)

[2] غيربر: **أساطير الإغريق والرومان**، ص65

[3] ينظر، ألبيديل، م. ف: **سحر الأساطير – دراسة في الأسطورة –التاريخ – الحيـاة**، ترجمة ميخائيل اسـحاق، ط1، دار علاء الدين للنشر، سوريا، 2005، ص 155

[4] ينظر، إمام، إمام عبد الفتاح: **معجم ديانات وأساطير العالم**، م 3، ص110

[5] يمثل عشرين كوكبا من ناحية الشمال، وهي على صورة فرس له رأس ويدان وجناح وبدن إلى آخر الظهـر. ينظـر، الصوفي، عبدالرحمن بن عمر الرازي: **صور الكواكب الثمانية والأربعـين**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربـي، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981، ط، ص120

[6] ينظر، سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن – الأديان– الحياة**، ص64

وحين تخلى القنطور خيرون، عن خلوده لبروميثيوس، كما تقول الأسطورة الإغريقية، وضعه زيوس – كبير الآلهة– بين مصافّ النجوم حيث أصبح جزءا من كوكبة برج القوس[1].

يتضح مما سبق، أن الإنسان كان إذا أراد إنهاء حياة الفرس في أساطيره، لجأ إلى جعل هذه النهاية تليق بهذا الكائن المقدس، ولا شيء أقدس من أن يتحول إلى نجم لامع يضيء ليل السماء المظلم.

ثالثاً: الفرس والماء

بلغ حرص الإنسان واهتمامه بالماء مبلغا كبيرا؛ فالمطر كان وما يزال عنصرا رئيسا من عناصر الحياة على هذه البسيطة. الأمر الذي دفع الإنسان لييمم وجهه شطر هذا العنصر، حيث جعله واحدا من الرموز المقدسة؛ فهو – أي الماء – أسطورة التكوين الأولى وأس الخلق والكون وفق الشرائع والميثولوجيا القديمة.

وإذا كان للماء علاقة بالحياة والموت، فإن للفرس العلاقة نفسها، مثلما أثبتت ذلك النصوص الأسطورية." فالماء شكل التجلي الأولي.... وهو مصدر الحياة والخصب والطهارة والجذب الجنسي والتجدد الجسدي والروحي والحكمة والمعرفة والخلود والسلام والبعث."[2] والأمر هذا لا يختلف عن صورة الفرس في الفكر الإنساني القديم؛ فعميد الحكمة عند الإغريق هو القنطور خيرون، الذي ولد من حورية البحر فيليرا حين أحبها كرونوس واقترن بها على هيئة حصان[3].

كما تذهب الميثولوجيا الإغريقية إلى القول، إن الخصب المتمثل في الربيع، خرج من وقع حوافر الحصان المجنح [4]. في حين كان الكنعانيون يعقدون الاحتفال بعيد الخصب

---

[1] ينظر، **موسوعة تاريخ الأديان**،تحرير فراس السواح، الكتاب الثالث، ص149

[2] الطبال، أحمد: **الماء في رمزيته الأسطورية والدينية**، مجلة الفكر العربي المعاصر، تصدر عن مركز الإنماء القومي، ع25، بيروت، 1983، ص 142، 144

[3] ينظر، كامبل، جوزيف: **أساطير وحكايات عالمية**، ص 60

[4] ينظر، هاملتون، أديث: **الميثولوجيا**، ص205

المعروف ب (بعث ملكارت)؛ إذ يحرقون تمثالا كبيرا للإله ملكارت وهو يركب على حصـــان البحر[1].

وإذا كان النهر المقدس عند السومريين قد مُنح الحكمة من الإلهين مردوك وإيا، كما هو واضح في الابتهال الموجه إلى هذا النهر[2]:

منحـــك الهيـــاجَ والتـــألّق والرهبـــة

وجعـــل منـــك طوفانـــا لا يُقـــر!

إيـــا ومـــردوك منحـــاك الحكمـــة

فإن نبع الحكمة عند الإغريق، والمسمى ب (هيبوكرين)، انفجر عندما لامست حـوافر بيجاسيوس (الحصان المجنح) الأرض. وقد اعتبر هذا النبع مصدر إلهام للشـعراء فـي ذلـك الوقت[3]. إذ جاء على لسان إحدى ربات الفنون التسع، مخاطبة شقيقاتها النابغات: "**تَمِيَـتْ إلـى سمْعي شائعة تقول، إن ينبوعا قد تفجر من الأرض بضربة مـن حـافر الحصـان المجـنح "بيجاسيوس" وليد "ميدوسا"، وها أنذا قد أتيت لمشاهدة هذا الينبوع العجيب بعد أن شـاهدت انبثاق هذا الجواد من دم أمه المنزوف**"[4].

والجدير بالذكر أن هذا الجواد لم يولد من دماء الميدوسا بقطرات المطـر، ومـن هنـا شكلت الأحصنة المجنحة في الفن الإغريقي جزءا من موكب الآلهة البحرية[5].

ولما كان الفرس هو معنى البقاء والحياة والوجود والاستمرار، فلا عجـب إن وجـدنا الإنسان يرتقي بهذا الكائن إلى مصافي الماء، فمن يتتبع الأساطير سيجد أن العلاقة بـين المـاء والفرس علاقة وثيقة جدا، ففي أسطورة بوسيدون الإغريقية، إشارة واضحة إلى أن ارتباط إلـه

---

[1] ينظر، الماجدي، خزعل: **الآلهة الكنعانية**، ط4، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص97

[2] ينظر، **ديوان الأساطير – سومر وأكاد وآشور–**، ترجمة قاسم الشواف، ج2، ص77

[3] ينظر، إمام، إمام عبد الفتاح: **معجم ديانات وأساطير العالم**، ص108

[4] أوفيد: **مسخ الكائنات**، ص 260 – 261

[5] ينظر، سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن– الأديان– الحياة**، ص61

البحر بالحصان كان ارتباطا قويا، إذ لم يكن يظهر إلا بعربة يجرها حصان، وليس هذا فحسب بل كان أيضا يمد الأرض بالمهور والينابيع. من هنا اعتبر الحصان حيوانا مقدسا عند هذا الإله[1]، إذ كان الناس يتقربون إليه عن طريق تقديم هذا الكائن قربانا له، كما مرّ سابقا.

كما استخدم الماء قديما، وسيلة مساعدة في الطقوس الرومانية لطرد الارواح الشيطانية، أو لإنقاذ روح من أصابهم المس أو تلبست بهم تلك الروح السفلى[2].

وفي طقوس الاستسقاء، كان القدماء يستعينون بالفرس، إذا أرادوا من السماء أن تجود عليهم بالمطر، ففي إحدى قرى الصين، يجتمع الناس ويلقون فرسا في غدير الماء، ثم يقفون على أطرافه، فكلما أراد الفرس الخروج من الماء منعوه، وما دام الفرس في الماء يأتيهم المطر، فإذا أمطروا قدر كفايتهم وامتلأ الغدير، أخرجوا الفرس وذبحوه على قمة جبل، وتركوه حتى يأكله الطير، فإذا لم يفعلوا ذلك في شيء من السنين لم يمطروا[3].

---

[1] ينظر، شابيرو، ماكس: **معجم الاساطير**، ص208

[2] ينظر، غزال، كمال: هل تعكس بلورات الماء حالتنا الواعية، مقال نشر على الشبكة العنكبوتية، http://www.paranormalarabia.com، 2009

[3] ينظر، القزويني، زكريا بن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 54

المبحث الثاني

الفرس في الفكر العربي القديم

كان الفرس على مرِّ التاريخ، رفيق العربي في حله وترحاله، وسلمه وحربه؛ فعلى ظهره يحارب أعداءه، ويحمي دياره، وبه يهاجم ويتصيّد؛ ليُؤمن قوت يومه. وفي ساعات فراغه، كان العربي يلجأ إلى فرسه، يسرح على ظهره ويمرح، ويقطع القفار ويجوب الفيافي، وبه يسابق ويتريّض ويتسلى.

وبالعودة إلى التراث العربي القديم، نراه يحفل بالحديث عن حصان الملك سليمان، عليه السلام، فقد كان حصان طرْد وقنص، لاحصان حرب. ففي رواية ابن الكلبي، "أنّ قوما من الأزْد من أهل عُمان قدِموا على سليمان بن داود بعد زواجه من بلقيس، ملكة سبأ، فسألوه عمّا يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم حتى قَضَوْا من ذلك ما أرادوا، وهمُّوا بالانصراف، فقالوا: يا نبيَّ الله إن بِلادَنا شاسعٌ وقدْ أنْفَضنا من الزاد. مرْ لنا بزادٍ يُبَلِّغنا إلى بلادنا. فدفع إليهم سليمان فَرسا من خَيْله، من خيل داود، وقال: هذا زادكم، فإن نزلتم فاحملوا عليه رجلا، وأعطوه مِطْرَدا، وأوروا نارَكم، فإنَّكم لن تجمعوا حَطَبَكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد. فجعل القوم لا ينزلون منزلا إلّا حملوا على فرسهم رجلا بيده مِطْرَدا واحتطبوا وأوْرَوْا نارهم فلا يلبث أنْ يأتيَهُم بصيدٍ من الظباء والحُمر فيكون معهم منه ما يكفيهم ويُشبعُهم ويَفْضُلُ إلى المنزل الآخر. فقال الأزديّون: ما لفرسنا هذا اسمٌ إلّا (زاد الركب). فكان ذلك أوّلَ فرسٍ انتشَر في العرب من تلك الخيل"[1].

فكان زاد الركب تفسيرا للحياة العربية في أوليتها إذ تؤول إلى الصيد، والصيد عدته الفرس الذي يقهر الحيوان ويقهر المكان[2].

وليس من المبالغة إن قيل: إن الفارس والفرس والسيف شكلوا ثالوثا موحدا، فتعلق العربي بفرسه وسيفه هو تعلق واجب ومشروع؛ فبهما وعليهما تستمر الحياة وتحفظ الكرامة،

[1] ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب: **نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها**، رواية أبي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمودي القيسي وآخرين، ط1، عالم الكتب، د.م، 1987، ص29-30

[2] ينظر، عيد البديع: **عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان واسماء والكواكب**، ص227

ويُحرز النصر على الأعداء، فهذا الثالوث كتلة واحدة يرمز إلى عز الإنسان العربـــي ومنعتـــه وشرفه[1].

ولأجل هذا كله، استأثر الفرس بمكانة مميزة في قلب العربي، حيث أولى هذا الحيـــوان اهتماما كبيرا.

وقد أظهرت الرسومات والنقوش الصخرية المُكتشفَة في الجزيـــرة العربيـــة، أشـــكالا حيوانية كثيرة،"كانت الخيل من أهمها، وقد وجدت رسوم في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية تعود إلى فترات متعددة، تُظهر هذه الرسوم خيولا منفردة، وبعض المشاهد القتاليـــة، ومنـــاظر الصيد"[2].

وفي حرص العربي وتشدده في المحافظة على أنساب الخيل، وعدم الخلط بين سلالاتها، دليل على مكانة هذا الكائن في حياة الناس.

وكانوا "لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج"[3]، ومن عادات التهنئة أن يقول أحدهم:"ليَهْنيك ما تطلب عليه الثأر"[4].

يضاف إلى ذلك أن إطلاق الأسماء على الخيل كانت عادة مألوفة ومعروفة؛ "ليتمكنـــوا من تمييزها وليعرفوا الأصيل منها من غيره"[5].

وقد تداخلت أسماء الخيول العربية مع أسماء فرسانها، حتى أصبح من العسير تمييز اسم الفرس من الفارس، حيث يقال: فارس الأبْجَر، وفارس الجَوْن، وفارس النعّامة، فيُلقب الفـــارس بلقب فرسه تعظيما وتكريما.

---

[1] ينظر، أبو يحيى، أحمد اسماعيل: **الخيل في قصائد الجاهلين والإســـلاميين**، راجعـــه ياســـين الأيـــوبي، ط1، المكتبـــة العصرية، بيروت، 1997، ص26.

[2] الدغيشي، حمود:**معجم الخيل العربي الأصيلة**، ص7

[3] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3،م.السعادة، مصر، 1963، ج1،ص65

[4] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **محاضرات الأدباء وحاورات الشعراء والبلغاء**، ط1، شركة دار الأرقـــم بـــن الأرقم، 1420هـــ، ج2، ص669

[5] القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ط1، دار الأرشاد، بيروت، 1970، ص107

كما اشتهر بعض فرسان العرب بحبهم للخيل واعتنائهم بها، فنُسبوا إليها، ومنهم: "زيد الخيل"[1]، والطفيل الغنوي، الذي أطلق عليه "طفيل الخيل"[2]، وأبو دؤاد الإيادي[3]، والنابغة الجعدي[4]. وقد قيل في ذلك:" ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طفيل، وأبو دؤاد، والجعدي. فأما أبو دؤاد فإنه كان على خيل المنذر بن نعمان بن المنذر. وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغرَل[5] إلى أن كَبُر. وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء، فأخذ عنهم"[6].

والحكمة من وجود الفرس في حياة العربي، تكمن في ركوبه وقت الحرب ومساعدة الفارس على النزال، وقد حدد ربيعة بن مقروم هذه المهمة حين قال[7]:

(الكامل)

ولقد شهدتُ الخيل يوم طرادها بسليل أَوْظِفة القوائم هيكل

فدعَوا نزال فكنت أول نازلٍ وعلام أركبه إذا لم أنزل

ولأجل ذلك، لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها، ولا تكرمه، صيانتها للخيل وإكرامها لها، حتى كان الرجل منهم يبيت طاويا ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وولده[8].

وولده[8]. ويدلل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما[9]:

---

[1] هو زيد بن مهلهل بن عبد رضا، من طيء، كنيته أبو مُكنف: من أبطال الجاهلية. لقب "زيد الخيل" لكثرة خيله، أو لكثرة طراده بها. أدرك الإسلام فأسلم، وسرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمّاه "زيد الخير". ينظر، الأصفهاني، أبو فرج: **الأغاني**، شرح عبد علي مهنا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج1، ص247

[2] هو طفيل بن عوف بن كعب، شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، سميّ المُحَبَّر لحسن شعره، وكان أوصف الناس للخيل. ينظر، المرجع السابق، ج15، شرح يوسف الطويل، ص237

[3] هو جارية بن الحجاج، أحد بني بُرْد بن إياد بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، كان وصّافا للخيل. قيل: لم يصف أحد قطّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد. ينظر. المرجع السابق، ج 16، ص373و405.

[4] هو حبّان بن قيس بن عبد الله بن جعْد،، أبو ليلى: شاعر مغلق، صحابي. من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي "النابغة" لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله. ينظر، المرجع السابق، ج5، شرح عبد علي مهنا، ص5و 8

[5] الأغرل: الصبي قبل أن يُختن. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (غرل)

[6] المصدر السابق، ج16، ص404-405

[7] الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي: **شرح ديوان الحماسة**، عالم الكتب، بيروت،د.ت، ج1، ص33

[8] ينظر، ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد: **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، رواية أبي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمود القيسي وآخرين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987،ص8

[9] الدميري:**حياة الحيوان الكبرى**، ج1، ص771

أحبـــوا الخيـــل واصـــطبروا عليهـــا فـــإن العـــز فيهـــا والجمـــالا

إذا مـــا الخيـــل ضـــيعها أنـــاس ربطناهـــا فأشـــركت العيـــالا

نقاســـمها المعيشـــة كـــل يـــوم ونكســـوها البراقـــع والجـــلالا

ولا نبالغ إن قلنا إن العربي كان أعلم من غيره بالأمور المتعلقة بالخيل، وهذا ما عبــر عنه الجاحظ بقوله: "إنّا نفهم عن الفرس كثيرا من إرادته وحوائجه وقصوده، كمــا نفهــم إرادة الصبي في مهده، ونعلم- وهو من جليل العلم- أن بكاءه يدل على خلاف ما يدل عليه ضحكه، وحمحمة الفرس عند رؤية المِخلاة[1] على خلاف ما يدل عليه عند رؤية الحِجْر"[2].

وكان من تقاليد العربي ألا يبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك، بل إنهــم كــانوا علــى استعداد لدفع أغلى الأثمان في سبيل اقتناء الفرس العتيق[3].

وبلغ من تعظيم الخيل، أن أشراف العرب لم يتوانوا عن خدمة أفراسهم بأنفســهم، بــل كانوا يفتخرون بذلك، "حتى عدَّ ذلك مأثرة من المآثر التي يعتزون بها، فكانوا يُمَرِّنونها على أكل قديد اللحم، فإذا أجدبوا، وقل اللبن أطعموها منه، وكانوا يسقونها المــاء الــدافئ فــي الشــتاء، ويصنعون لها النعال لتقي حوافرها من الصخور والأرض الصلبة"[4].

ولضمان سلامة فرسه من الحسد والعين، عمد العربي إلى وضع خــرزة مــن قــرون الأيايل في عنقها[5]؛ ظنا منه أن تلك القرون المقدسة ستدفع شر العين وستحمي فرسه مــن كــل سوء يمكن أن يعترض طريقه. وقد استمرت هذ العادة، حتى ظهر الإسلام، فنهى عــن تقليــد الخيل بالأوتار، وذلك كما ورد في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم- "لا يُبْقَيَنَّ في رقبة بعير من وتر ولا قلادة إلا قُطِعَت ". قال مالك أرى أن ذلك من أجل العين[6]. وقد استبدل الإسلام ذلك

---

[1] المخلاة: كيس يُعلق على رقبة الدابة، حيث يوضع فيه العشب الرطب. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة(خلا)

[2] الجاحظ،: **الحيوان**، ج1، ص32

[3] ينظر، ابن الأعرابي: **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، ص7-8

[4] المصدر السابق، ص9-10

[5] ينظر، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:**عيون الأخبار:الحرب والفروسية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشــق، 1977، ص141

[6] أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**،، ج2، حديث رقم (2554).

بالرقية الشرعية، كما أورد ذلك صاحب كتاب عيون الأخبار، إذ يقول:" حدثني محمد بن عبيد عن أبي إسحاق عن سفيان عن حُصين بن عبد الرحمن عن هلال بن إساف عن سُحيم بن نوفل قالا: كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية إلى سيدها فقالت: ما يُجلسك؟ قُم فابتغِ لنا راقيا فإن فلانا لَقَع مُهرَك بعينه فتركَتْه يدور كأنه فلك. فقال عبد الله:لا تبْتغ راقيا ولكن اذهب فانفُث في منخَرِه الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل: بسم الله لا بأس لا بأس، أذهب البأس ربَّ الناس، واشف أنت الشافي، لا يكشف الضراء إلا أنت. قال: فما قمنا حتى جاء الرجل فقال: قد فعلت الذي أمرتني به فبال وراث وأكل"[1].

من هنا يمكن القول إن الخيل لم تكن مجرد حيوان بل كانت – كما يقول الباحث نصر الدين صالح – "نمطا ثقافيا عبرت عنه الثقافة العربية بوسائلها التعبيرية كافة نثرا وشعرا"[2]. فقد نشأت بين العربي وحصانه علاقة تاريخية مصيرية، "فكانا صديقين وفيين يتقاسمان صروف الحياة ويتعرضان لنفس المخاطر، ويتذوقان نفس النشوة في غمار المعارك، وكانت النصرة والعزة ثمرة لتعاونهما الوثيق وشجاعتهما، وجلدهما وبراعتهما"[3]. ولذا حرصت كتب الخيل القديمة على إبراز هذا النمط الثقافي، من خلال التركيز على أسماء الخيل وأنسابها، وأهم العادات المتعلقة بهذا الحيوان. فمن بين أُمّات الكتب التي اختصت بالحديث عن الخيل نذكر: كتاب "نسب الخيل" لابن الكلبي، وكتاب "الخيل" لأبي عبيدة، و"الخيل" للأصمعي، و"أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها" للأسود الغُندجاني، و "الخيل" لابن جُزي الكلبي الأندلسي، وغيرها.

ولم تقتصر نظرة العرب إلى الخيل في السباق والصيد فحسب، بل تعدى ذلك إلى النظرة الجمالية، وهي نظرة قديمة تقترن فيها صورة الخيل بصورة المرأة. "و لعل الصفات التي استدل بها العرب على عِتق الخيل تشير إلى تلك النظرة الجمالية فضلا عن أن معظم أسماء

---

[1] ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ص142

[2] محمد، نصر الدين صالح: ***أسماء الخيل عند ابن الكلبي – دراسة دلالية***، **مجلة علوم اللغة**، مصر، مج 5، ع 2، 2002، ص81

[3] غلوب، قبلان: **الحصان العربي الأصيل**، جروس برس، لبنان،1989،ص13

الأفراس عند العرب كانت مؤنثة. وفي المعجم العربي ما يؤكد على مدى العلاقة الوطيدة بـين المرأة والخيل، فمن ذلك لفظة "حَصان" بفتح الحاء، وهي المرأة العفيفة عن الريبة. وأطلقوا لفظ "التكهيل" على مشي الحِصان والمرأة اختيالا. كما أطلقوا على بعض أفراسهم أسماء تتعلق بالنساء والأنوثة، ومن ذلك "الخيفق". والخيفق: الخيل السريع، وأكثر ما توصف به الإناث. والخيفق من النساء: دقيقة العظام، بعيدة الخطو"[1].

وقد كثر في أشعارهم تشبيه الخيل بالمرأة، كما هي الحال عند امرئ القيس، حين شبه ذنب الفرس وطوله بذيل فستان العروس الطويل ليلة زفافها، يقول[2]:

(المتقارب)

لهـا ذَنَـبٌ مثـل ذيـل العـروس تسُـدّ بـه فرجهـا مـن دُبُـر

ولهذا التشبيه صدى في أدبنا الشعبي الفلسطيني، حيث تشبه الفرس بالعروس، والعكس كذلك، وهذا ما ستقف عليه الباحثة في الفصل القادم.

ويشبه الشاعر نفسه، شَعر الفرس بذوائب النساء، قائلا[3]:

(المتقارب)

لهـا عُـذَرٌ كقـرون النسـا رُكِّـبنَ فـي يـوم ريـحٍ وصِّـرْ

لكن العربي كثيرا ما فضل فرسه على امرأته، الأمر الذي دفع بالغيرة إلى قلوب النسوة، فكن يلمن أزواجهن على ذلك.

ومن شدة تعلق العربي بالفرس، حرص على إعطائه صفة دينية مقدسة، تمثلت بعبادة هذا الكائن والتقرب إليه، ف "يعوق" وهو صنم اشتهر في الجزيرة العربية، كان يُمثل على هيئة

---

[1] الدغيشي، حمود: **معجم الخيل العربية الأصيلة**، ص10

[2] امرؤ القيس، حندج بن حجر: **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص164

[3] المصدر السابق، ص165

فرس[1]. وربما أخذ العرب هذه العبادة عن الأَسْبَذيِّين، وهم قوم من المجــوس كـــانوا مَسْــلَحة[2] لحصن المشقر من أرض البحرين، حيث اشتهروا بعبادة الخيل[3].

ونظرا للصفة الدينية التي توسم بها الفرس في حياة العربي، استُخدمت دماؤه في طقوس جنائزية تمثلت في عقره على قبر الميت. ومما يدل على ذلك قول زياد الأعجم يرثي المغيــرة ابن المهلب[4]:

(الكامل)

فـــإذا مـــررت بقبـــره فـــاعقر بـــه كُـــومَ الْجِـــلاد وكـــلَّ طِـــرْف ســـابح

وانضـــح جوانـــب قبـــره بـــدمائها فلقـــد يكـــون أخـــا دم وذبـــائح

على أن العقر بقي إلى العصر الأموي، " فقد عقر الفرزدق فرسه على قبر صديقه بشر بن مروان وإلى العراق لأخيه عبد الملك"[5].

وليس هذا وحسب، بل كان تخضيب صدر الفرس بالدم والمفاخرة بضَرب القداح عليه[6]، تمثل عادة اجتماعية ذات قيمة كبيرة في حياة العربي، وهي عادات تحمل بعــدا دينيــا وربمـــا أسطوريا يتعلق بقداسة الدم.

ولما كان الانسان قديما، يؤمن بأن الجياد كانت إحدى مطايا الآلهة، فقد تسرب مثل هذا الاعتقاد إلى عقلية العربي، فجعلت الفرس بشكل عام والأدهم بشكل خاص مطية للجن، حيــث

[1] ينظر، داود، جرجس داود:**أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي،** ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،1981، ص 345

[2] المَسْلَحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ؛ سموا مَسْلَحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يســكنون المَسْــلحة، وهي كالثغر. ابن منظور: **لسان العرب،** م2، مادة (سلح)، ص487

[3] ينظر، البلاذري،أحمد بن يحيى:**فتوح البلدان،** مطبعة الموسوعات، القاهرة،1901، ص89

[4] الأصفهاني، أبو فرج: **الأغاني،** شرح يوسف علي الطويل، ج15، ص371

[5] الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي،** ط4، دار القلم، بيروت، 1962، ص494

[6] عمد العربي إلى الميسر وضرب القدح على سبيل التفاخر إذا ما هبت الريح الباردة، وأقفرت البلاد، فكان ينبري ليضحي بأعز ما يملك، ولا أعز عند العربي من خيله. ينظر،جمعة،حسين:**الحيوان في الشعر الجــاهلي،** دار مؤسســة رســلان، دمشق،2010،ص128

ظهر هذا واضحا في رسالة التوابع والزوابع، والتي ذكر فيها ابن شهيد أن جنيا يُدعى زهيـر، تمثل له بصورة فارس يمتطي صهوة حصان أدهم[1].

وقد ذهب العربي إلى أبعد من ذلك، حين ربط بين الفرس والغيب، فالفـالات المتعلقـة بالسفر وغيره من أمور الحياة، كانت تُستشفُ من شعر ذيل الحصان، وذلك على النحو التالي[2]:

* إذا انتفش الشعر في ذيل حصان أو بغل فذلك يدل على أن صاحبه سيذهب في سفر.

* إذا انتفش الشعر على السطح الخارجي للذيل، فإن الإقامة في المكان ستكون طويلة.

* إذا انتفش الشعر المحيط بالذيل، فهذا يدل على أن صاحبه سيسافر وسيعود سريعا.

* إذا انتفش الشعر على الجانب الأيمن للذيل، فهذا يدل على أن عدد دواب صـاحب الحصـان سيتناقص.

* إذا انتفش الشعر على الجانب الأيسر للذيل، فهذا يدل على أن عدد دواب صـاحب الحصـان سيزداد.

كما أن الأسطورة العربية تزعم بناء علاقة كلامية بين الحيوان والبشر والكائنات العليا الغيبية، فالفرس في صهيله يُسبح حافظه إذا التقت الأبطال واشتغلت الرجال بالرجال[3].

وفيما يتعلق بالأحلام المرتبطة بالفرس، جاء تفسيرها على النحو التالي[4]:

من رأى كأنه يقود فرسا، فإنه يطلب خدمة رجل شريف، والفرس والحصـان سـلطان وعز، فمن رأى أنه على فرس ذلول يسير رويدا وأداة الفرس تامة، أصاب عزا وسلطانا وشرفا

---

[1] ينظر، ابن شهيد، أحمد عبد الملك: **رسالة التوابع والزوابع**، تحقيق بطرس البستاني، ط1، دار صادر، بيروت، 1996، ص89

[2] فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الاسلام**، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص346.

[3] ينظر، خليل، خليل أحمد: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، الأسوار للطباعة والنشر، عكا، د.ت، ص112

[4] ينظر، ابن سيرين،محمد: **تفسير الأحلام الكبير"منتخب الكلام في تفسير الأحلام"**،تحقيق أسامة محمـد السـيد، ط3، دار أسامة للنشر، الأردن، 1999، ص198-201

وثروة بقدر ذل الفرس له. ومن ارتبط فرسا لنفسه أو ملكه، أصاب نحو ذلك. وكل ما نقص من أداته نقص من ذلك الشرف والسلطان. وذنب الفرس أتباع الرجل، وإن كان ذنوبا كثُـر تبعه، وإن كان مهلوبا محذوفا قل تبعه، كما ويدل الذيل على نسل الرجل. وكل عضو من الفرس شعبة من السلطان كقدر العضو في الأعضاء.

ومن ركب فرسا ذا جناحين، نال ملكا عظيما إن كان من أهله، وإلا وصل إلى مراده. ومن رأى أنه على فرس يجمح به، فإنه يرتكب معصية أو يصيبه هول بقدر صعوبة الفرس، يقال: ركب فلان هواه، وجمح به هواه.

وأما تراكض الخيل بين الدور، فسيول وأمطار، إذا كانت بلا سروج ولا ركبان، وكذلك الأمر لمن سمع وقع حوافر الفرس من غير أن يراها. ومن رأى جماعة خيل عليها سروج بلا ركبان، فهي نساء يجتمعن في مأتم أو عرس. ومن ملك عددا من الخيل أو رعاها، فإنه يلي ولاية على أقوام أو يسود في ناحيته.

ورؤية الفرس ميتا في الدار، يدل على هلاك صاحب الرؤيا. وأما شرب لبن الفرس، فهو إصابة خير من سلطان.

كما وتدل رؤية المهر والمهرة في المنام، على الابن والابنة والغلام والجارية. أما صهيل الفرس فيدل على نيل هيبة من رجل ذي شرف.

أما رؤية الحجرة في المنام، فتدل على المرأة الشريفة المباركة، لقوله صلى الله عليه وسلم:" ظهورها عز وبطونها كنز". "فمن ركب حجرة في منامه بآلة الركوب، فإنه ينكح امرأة شريفة مباركة في عقد صحيح. ومن ركب حجرة بلا سرج ولا لجام، فإنه ينكح امرأة في غير عصمة، أو يركب أمرا لا يثبت عليه. وربما دلت الحجرة البيضاء على امرأة ذات حسب ونسب، والحمراء على امرأة ذات زينة، والصفراء على امرأة ذات مرض، والسوداء على امرأة

ذات ملك وسودد، والدهماء كذلك. وربما دلت الحجرة على السَنة؛ فالسمينة خصب، والضعيفة جدب[1].

ولم يبلغ فرس في التاريخ العربي الدرامي، ما بلغه داحس والغبراء، فهما البطلان الحقيقيان للحرب التي هاجت بين عبس وذبيان، ودامت أربعين عاما[2].

كما ربط العرب بين نَوْء الهَقْعَة والفرس المهْقوع[3]، وهو الذي يوجد في عرض زَوره دائرة، وهو فرس مكروه؛ فقد زعموا أن من ركب فرسا مهقوعا فعرق تحته، اغتلمت امرأته وطمحت إلى غير بعلها[4]. تماما كما كرهت العرب الزاوج في الهقعة؛ لأنه يورث الفراق والطلاق.

يضاف إلى ذلك أن العربي كان يعبر عن الشمس بالفرس، "والفرس من الحيوانات التي قدسها قدماء الساميين. وقد كان العرب الجنوبيون يتقدمون بتماثيل الخيل، تقربا إلى الآلهة، ومنها الإلهة (ذات بعدن) (ذات البعد)، أي البعيدة..."[5]، وهي صفة أطلقت على شمس الشتاء بالذات، لأن العربي عبر عن شمس الصيف بلفظة (ذات حمم): أي ذات الحرارة الشديدة

---

[1] الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، ج1، ص545

[2] داحس والغبراء: هي حرب اندلعت بين قبيلتي عبس وذبيان، وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق. وكان داحس فحلا لقيس بن زهير، والغبراء حِجْر لحَمَل بن بدر، فتواضعا الرهان على مائة بعير، وجعلا مُنتهى الغاية مائة غَلْوة، والمضمار أربعين ليلة، ثم قاداهما إلى رأس المَيْدان بعد أن ضَمراهما أربعين ليلة. وكان طَرَف الغاية شِعاب كثيرة، فأكمن حَمل بن بدر في تلك الشعاب فِتية على طريق الفَرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقا أن يردوه عن الغاية، وهذا ما تم بالفعل،إذ لما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا في وجهه فردوه عن غايته، وثارت الحرب بين عبس وذُبيان، فركدت أربعين سنة لم تُنْتَج ناقة ولا فرسٌ فيها لاشتغالهم بالحرب. ينظر، النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب المصرية، مصر،1997، ج15، ص356-357

[3] الهقعة: دائرة في وسط زَوْر الفرس أو عُرْض زَوْره وهي دائرة الحزم تستحب، وقيل تكون بجنب بعض الدواب يتشاءَم بها وتكره، ويقال إن المهقوع لا يَسْبَق أبدا. والهقعة ثلاثة كواكب نيِّرة، قريب بعضها من بعض فوق مَنْكِب الجوزاء، وقيل هي رأس الجوزاء ومنزل من منازل القمر، إذا طلعت مع الفجر اشتدّ حرُّ الصيف،. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة(هقع). و مرتضى الزبيدي، أبو الفضل محمد بن محمد: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة(هقع)

[4] ينظر، ابن طباطبا، محمد أحمد: **عيار الشعر**، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص41

[5] جواد، علي: **المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت، ج6، ص169

والأشعة المتوهجة التي تشبه الحميم من شدة الحر[1]. ومن هنا اقترنت الفرس بالمطر؛ "لأن الشمس في صفاتها المتعددة، هي بعيدة، متمنعة من جهة، وهي ذات صلة بالماء والمطر من جهة ثانية. وجميع هذه المعاني، أكثر ما تتوفر في شمس الشتاء البعيدة، التي اتخذ قدماء العرب، الفرس رمزا لها" [2].

من هنا يبدو أن الحديث عن الخيل والإطالة فيه "لم يكن محض صدفة؛ لأن في رموز الحيوانات عند العرب الأقدمين نجد أن الحصان – كما هو الحال عند سائر الساميين وغيرهم – يلعب دور حيوان الشمس المقدس؛ لذلك فهو ينوب عن الإلهة الشمس في بلاد العرب الجنوبية"[3].

وفي قصة خلق الفرس، نُسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، حديثا يبين فيه أن الفرس خلق من ريح الجنوب، وأن عملية خلقه تمت قبل خلق آدم عليه السلام. حيث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال:"إن الله لمّا أراد أن يخلق الخيل أوحى إلى الرِّيح الجَنوب أنّي خالقٌ منك خَلْقا فاجتمعي، فاجتمعت، فأمَر جبريل عليه السلام فأخَذَ منها قبضة، قال: ثمّ خلق الله تعالى منها فرسا كُمَيْتا[5]، ثم قال الله تعالى: خَلَقتُك فرسا، وجعلتُك عربيّا، وفضّلتُك على سائر ما خلقتُ من البهائم بسَعةِ الرزق، والغنائمُ تُقاد على ظهرك، والخيرُ معقودٌ بناصيتك، ثم أرسَلَه فصهَلَ، فقال له: باركت فيك، فصهيلك أُرعب به المشركين وأملأُ مسامعهم، وأزلزل أقدامهم؛ ثم وَسَمَه بغُرَّة وتحجيل[6]، فلما خلق الله تعالى آدم،

---

[1] ينظر، جواد، علي: **المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص 186 و300

[2] الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام – قراءة تحليلية للأصول الفنية**، ط1، د.ن، د.م، 1993، ص251–252

[3] الشورى، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي: تفسير أسطوري**، ط1، الشركة المصرية للنشر، مصر، 1996، ص 139

[4] لم تجد الباحثة في كتب الأحاديث أو السنن، أثرا لهذا الحديث، وقد كان موضع ظهوره في كتب التفسير، كما هو الحال عند القرطبي، والثعلبي، وكتب أخرى قديمة ذات مواضيع متعددة، كما في كتاب **المستطرف في كل فن مستظرف**،لشهاب الدين محمد الأبشيهي، **وكتاب نهاية الأرب في فنون الادب**، لشهاب الدين النويري، **وفضل الخيل** لحافظ الدمياطي، **وحياة الحيوان الكبرى** للدميري..وغيرها من كتب الأدب.

[5] الكُمْتة: لون بين السواد والحُمرة، يكون في الخيل والإبل وغيرهما. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (كمت)

[6] التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلها، وقيل: هو أن يكون البياض في ثلاث منهن دون الأخرى في رجل ويدين، وهو أن يكون أيضا في رجلين وفي يد واحدة، أو يكون البياض في الرجلين دون اليدين، أو أن يكون البياض في إحدى رجليه دون الأخرى ودون اليدين، ولا يكون التحجيل في اليدين خاصة إلا مع الرجلين، ولا في يد واحدة دون الأخرى إلا مع الرجلين. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حجل)

قال: يا آدم، أخبرني أيّ الدابتين أحببت؟ – يعني الفرس والبراق، وصورة البراق على صـــورة البغل لا ذكر ولا أنثى[1] – فقال آدم: يا ربِّ اخترتُ أحسنَهما وجها، فاختار الفرس، فقال الله له: يا آدم، اخترت أحسنهما، اختَرت َ عزّك وعزَّ ولدِك باقيا ما بقوا، وخالدا ما خلَدوا"[2].

ولما لم يكن للروايات السابقة أثر في كتب الأحاديث الصحيحة أو الصحيحين والســنن، فإن الباحثة ترجح أن يكون ما ورد هنا هو معتقد عربي قديم، فللريح دلالات عميقة في الفكــر العربي، إذ من شأنها أن تجعل من الفرس، "وسيلة وواسطة بين العالم الأرضي وعالم الطيــور وذوات الأجنحة، وهي تنسجم في الخيال والأحلام مع معنى الارتفاع والارتقاء والتسامي لــذلك فلا عجب أن يخلق الفرس من ريح الجنوب، رمز الرخاء لأنها في اعتقادهم من الرياح اللواقح، وأن يتحد الفرس بالعربي في لحظة الخلق أو أن نجد الخيل – أو ما يحل محلهــا كــالبراق – مركوب أهل الجنة من أصحاب السعادة ومن الملائكة"[3].

وفي حديث نقله محمد بن عبد الله المدني، عن ابن أبي المُهَزَّم، عن أبي هريرة، قــال: سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول: "ريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللــواقح، وهي التي ذَكَر الله تعالى في كتابه فيها منافع للناس..."[4]

وربما تستوقفنا تلك الرواية التي ترى أن الله عز وجل، منح نبيه سليمان عليه الســلام الريح لتكون فرسه، وذلك تعويضا له عن أفراسه التي عقرها[5].

---

[1] وفي معرض الحديث عن البراق، يرى بعضهم، أن البراق الذي امتطاه الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– كان على هيئة فرس. يدل على ذلك قول المتنبي، واصفا فرسه: **ما رآها مُكَذِّبُ الرُّسلِ إلا... صدَّقَ القَــولَ فــي صــفاتِ البــراق.** المتنبي، أحمد بن الحسين: **الديوان**، دار بيروت، بيروت، 1983، ص237

[2] النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج9، ص345

[3] عجينة، محمد: **أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994، ص288–289

[4] القرشي، عبد الله بن محمد: **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت، 2010،م6، ص179

[5] ينظر، الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستَطرف في كل فن مستظرف**، دار إحياء التراث العربــي، بيــروت، د.ت،ص125

يضاف إلى ذلك، أن العرب أطلقت على الريح، التي تصيب الإنسان في ظهره فتزيل فقاره فيحدب، لفظ الفَرسة[1]، وربما كان الجامع بينهما صفتي القوة والسرعة.

وليس غريبا، بعد هذا الربط الذي وجدناه بين الفرس والريح، أن نجد صورة المطر مقترنة بصورة الفرس في فكر الإنسان العربي وأدبه. فكثيرا ما لجأ إلى عكس واقعه المحسوس ومعايشته اليومية على رقعة السماء، فالفرس عند العرب، " من الحيوانات العلوية التي صورت بها الكواكب، ويظهر في ثلاث صور: الأولى كوكبة قطعة الفرس، وهي صورة رأس فرس وعنقها فيه عشرة كواكب، ذكر الصوفي أربعة منها فقط، اثنان منها عند فمها، واثنان في أعلى رأسها، والثانية كوكبة الفرس الأعظم، كواكبه عشرون، وهي على صورة فرس له رأس ويدان وبدن إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان، والأول من كواكبه على السرة، وهو على رأس المسلسلة مشترك بينهما، ويسمى سرة الفرس وآخر على متنه ويسمى متن الفرس، وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس، وآخر عند منشأ العنق يسمى الفرس، وآخر على جحفلته[2] خلف الأربعة التي على قطعة الفرس يسمى فم الفرس، والعرب تسمي الأربعة النيرة التي على المربع أحدهما عند منتهى العنق: متن الفرس وجناح الفرس والكوكب المشترك الدلو، وتسمي الاثنين المتقدمين عليها العرقوة[3]، والاثنين اللذين في البدن النعائم والكرب أيضا، شبهتهما العرب بمجموع العرقوتين في الوسط في رأس الدلو حيث يُشد الحبل، وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب، وتسمي الاثنين اللذين في الصدر سعد البارع والاثنين على الركبة اليمنى سعد الماطر. وإذا كانت الصورة الفلكية للفرس في السماء تمتد على هذه الأشياء، فلا عجب أن تتدفق صورته المثالية في الأرض بالمطر والماء"[4]. ولا عجب أيضا، أن نرى الشعراء يستعينون بكلمة الدلو في تشبيههم للخيل.

---

[1] ابن دريد: **جمهرة اللغة**، مادة (ر س ف)

[2] الجَحْفَلة من الفرس بمنزلة الشفة من الإنسان. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جحفل)

[3] العَرْقُوَة: خشبة معروضة على الدلو، ويقال للخشبتين اللتين تعرضان على الدلو كالصليب العَرْقُوَتان. ينظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عرق)

[4] عبد البديع، لطفي: **عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب**، ص 212-213

ففرس سلامة بن جندل سريع العدو، فإذا فاتته الخيل هوى كما تهوي الدلو العظيمة المملوءة بالماء، فهو يعبوب[1]. وشبه دفعات جريه بانصباب الماء من هذا الدلو في سهولة ويسر"[2]، إذ يقول في هذا المقام[3]:

(البسيط)

والعادياتُ أسابيُّ الدماء بها	**كأنَّ أعناقَها أنصابُ تَرجيب**
من كل حَتٍّ إذا ما ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ	**صافي السَّبيبِ،أسيلِ الخَدِّ يعبوبِ**
يَهوي، إذا الخيل جازَتهُ وثارَ لها	**هَوِيَّ سَجْلٍ، من العَلياء مَصبوبِ**
في كلِّ قائمةٍ منهُ، إذا اندَفَعَتْ	**منه، أساوٍ كفَرغِ الدَّلوِ، أُثعوبِ**

وكل هذا يؤكد أن فكرة ارتباط الفرس بالماء، هي من الأفكار المهمة التي تجعل الفرس مَثلا أعلى للحياة الدنيا، فهو– في اعتقاد الجاهلي – قادر على استجلاب الخير[4].

ولما كان الماء للعربي البدوي الذي عانى من شح الينابيع، أساس الحياة ومعنى البقاء والوجود، كذلك الفرس، فهو أساس الحياة الكريمة.

وكثيرا ما ربطت الروايات العربية الأسطورية، الفرس بالماء، من ذلك أسطورة خيل سليمان الخضر، إذ تذكر الأسطورة أن أصل خيل سليمان هو الماء، وأن الشيطان هو من أخرجها من مرج من مروج البحر، وكان لها أجنحة [5].

وكما ذهبت بعض الروايات إلى القول إن سليمان، حين ألهته تلك الخيول عن ذكر الله، أمر بعقرها، فزعموا أنها ردت إلى البحر[6]، من هنا لا بد من الوقوف عند بعض القواسم

[1] اليعبوب: الجدول الكثير الماء، الشديد الجِرية، وبه شُبِّه الفَرَس الطويل السريع. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عبب)

[2] الشورى: **الشعر الجاهلي:تفسير أسطوري**، ص144

[3] ابن جندل، سلامة: **الديوان**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص96

[4] ينظر، ناصيف، مصطفى: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس، د.م، 1981، ص83

[5] ينظر، النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج14، ص105

[6] ينظر، ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف: **التيجان في ملوك حمير**، ط2، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979، ص176

المشتركة بين الماء والفرس، ولا يُعلم إن كان العربي مدركا لكنهها، أم أنها جاءت على سبيل المصادفة. فصوت اصطدام قطرات المطر المتساقطة من العلو الشاهق على الأرض، وما يسبق ذلك من دويٍّ للرعد، يشبه إلى حد كبير صوت حوافر الفرس وهي تجري على الحصى فتفتتها، وربما استهوت هذه المشابهة للشعراء، فالمسيب بن علس، على سبيل المثال، يشبه صوت الحصى المتفتت تحت أقدام الخيل، بالدويِّ المرتفع، يقول[1]:

(الكامل)

وإذا تعاورت الحصى أخفافها دوى نواديه بظهر القاع

وهكذا أصبح الفرس والماء يشكلان معا نمطا متكاملا عند الشعراء، فكان ذكر الفرس في أشعارهم يبدو مقدمة لاستمطار الغيث، والدليل على ذلك ما نجده في معلقة امرئ القيس، التي توسطت لوحة الصيد فيها، لوحتين أساسيتين. فقبل شروعه بوصف فرسه وصفا أسطوريا، جاء الشاعر في لوحة الليل، على ذكر الثريا، التي كان العرب "يتبركون بها وبطلوعها، ويزعمون أن المطر الذي عند نوئها يكون منه الثروة"[2]. وكأن الشاعر عند ذكره لعنقود الثريا، هدف إلى البحث عن شعاع أمل؛ ليكون سندا له في عملية الاستمطار التي ستأتي فيما بعد. فبذكره للوحة الصيد، التي يمكن اعتبارها قربانا يقدمه الشاعر، حوّل شعاع الأمل إلى وميض برق ظهر في اللوحة الأخيرة، وهي اللوحة التي من أجلها رأينا الشاعر يبكي ويقدم القرابين، ألا وهي لوحة السيل.

وكثيرا ما لجأ الشعراء إلى اطلاق صفة "سابح" على الفرس، إذ كانوا يشبهون عَدْوها بالسباحة في الماء، "وفي هذا التشبيه دلالة أكيدة، على قداسة الماء في الفكر الديني الجاهلي،

---

[1] المفضل الضبي، أبو العباس: **ديوان المفضليات**، شرح الأنباري، تحقيق كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1920، ص95

[2] الصوفي، عبد الرحمن بن عمر الرازي: **صور الكواكب الثمانية والأربعين**، ص153

واضطلاع الفرس باستجلابها؛ فاستجلاب الماء الإلهي، رهين بسرعة عَدْوِ الفرس..."[1]. يقــول زهير بن أبي سلمى[2]:

(الطويل)

وغيــثٍ مــن الوســميّ حُــوٍّ تِلاعُــه أجابــت رَوابــي النجــاءَ هَوَاطلــه

صُــبحتُ بممســود النواشــر ســابح مُمَــرٍّ أســيل الخــد نَهْــدٍ مراكِلُــه

وهو مسحٌ، كأنه يصب الجري صبا، فيُشبه بذلك المطر في سرعة هطوله، كما يقــول امرؤ القيس[3]:

(الطويل)

مِسَــحٌّ إذا مــا الســابحات علــى الــوَنى أَثَــرْنَ الغُبــارَ بالكَديــد المُرَكَّــلِ

يضاف إلى ذلك، أن المفردات المتعلقة بالفرس، في اللغة العربية، تشترك في معناها مع معاني الماء؛ فمفردة صهوة، على سبيل المثال، هي من الفرس موضعُ اللِّبْدِ من ظَهْرِه، وهــي أيضا منبع الماء في أعالي الجبال[4].

كما حرص الشاعر الجاهلي على إبراز مكانة الخيل في شعره، حين لجأ إلى إصــباغه بصفات أسطورية، وتشبيهه بحيوانات ونباتات كان لها صدى أسطوري في حياة الإنسان منــذ القدم، ومنها العقاب والباز والصقر والغزال[5].

---

[1] طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المِثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، إشراف إحسان الديك، جامعــة النجاح الوطنية، نابلس، 2003، ص244

[2] ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق فخر الدين قباوة،ط1، دار الآفاق الجديــدة، د.م،1982، ص103-104

[3] امرؤ القيس،حجر بن الحارث الكندي:**الديوان**، ص20

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صها)

[5] ينظر، القيسي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص114

المبحث الثالث

الفرس في الإسلام

لما كان للخيل الدور الكبير عند العرب في الجاهلية، فقد بقيت كـذلك، لا بـل ازدادت أهميتها، في العصر الإسلامي، وذلك لفاعليتها ومساهمتها العظمى في نشر الدين الجديد وفـتح الأمصار والبلاد، وحماية الثغور من الأعداء، وقد أمر الله تعالى المسلمين باتخاذها وارتباطها، فقال في محكم كتابه: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة * وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِۦ عَـدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُـواْ مِـن شَىْء* فِى سَـبِيلِ ٱللَّهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[1].

وقد رد القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن، على من قال إن قوله تعالى:" وَأَعِـدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة "، كان يكفي؛ فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟، بأن الخيل " لمـا كانـت أصل الحروب وأوزارها التي عُقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العُدة وحصـون الفرسان، وبها يُجال في الميدان، خصها بالذكر تشريفا..."[2].

وفي تفسير قوله تعالى: "وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُـمْۚ"، ذهب الطبرانـي في "المعجم الكبير"، والزمخشري في "الكشاف" والقرطبي في "الجـامع لأحكـام القـرآن"، أن المقصودين هنا هم الجن، حيث استدلوا على ذلك، بحديث روي عن الرسول – صلى الله عليـه وسلم– يقول فيه: إن " **الجن لا تقرب دارا فيها فرس، وأنها تنفر من صهيل الخيل**"[3]، غيـر أن الرازي في تفسيره، يرى أن هذا القول مشكل، لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن[4]. كما رفض ابن كثير في تفسيره أن يكون هذا من كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم–،

---

[1] الأنفال: اية 60

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:**الجامع لأحكام القرآن**، ج8، ص37

[3] ينظر، الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد:**المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيـد السـلفي، مكتبـة ابـن تمية،القاهرة، د.ت، ج17، ص 189. والزمخشري، محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويـل فـي وجوه التأويل**، ط1، مطبعة مصطفى محمد،القاهرة، 1354ه، ج2، ص133. والقرطبي:**الجـامع لأحكـام القـرآن**، ج8، ص38.

[4] ينظر، الفخر الرازي، محمد فخر الدين: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط1، دار الفكـر للطباعة والنشر، بيروت، 1981، م8، ج15،ص193

فهو –كما يقول– حديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه، فالمقصود في هذه الآية هم المنافقون[1]، إذ يشهد على ذلك قوله تعالى: "وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ"[2].

عدا عن ذلك فإن الباحثة لم ترَ أثرا لهذا الحديث في كتب الأحاديث، مما يؤكد على أن مثل هذا الكلام هو معتقد تمتد جذوره إلى أسطورة حدوة الحصان التي مر ذكرها من قبل. وهذا يعطينا الدليل على أن العربي اعتمد في تفسيره لبعض الآيات على ما كان متعارف عليه من معتقدات قديمة، لمنح الفرس جوا من القداسة والهيبة.

لكن هذا لا يعني أن الإسلام أغفل أهمية الفرس ومكانته في حياة العربي؛ إذ لم يكرم دين من الأديان السماوية الخيل إكرام الإسلام لها، " حيث فضل الله الخيل على سائر الأنعام، فقد ذكر الله تعالى الخيل في القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة تنويها بها، ولفتا إليها، ورفعا لقدرها على غيرها من الحيوانات الأخرى باعتبارها نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على عباده"[3]. ومما يدل على أهميتها وعظم شأنها، أن الله عز وجل أقسم بها ومدحها، في سورة من سور كتابه، حمل اسمها صفة من صفات الخيل، وهي العاديات، إذ يقول سبحانه وتعالى: "وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا * فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا * فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا"[4].

يقول سيد قطب في تفسيره للآيات السابقة: "يقسم الله سبحانه وتعالى بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدْوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح لمفاجأة العدو، مثيرة النقع والغبار. غبار المعركة على غير انتظار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة

[1] ينظر، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1969،ج2، ص322

[2] التوبة، آية 101

[3] السبيعي، سند بن مطلق: **الخيل معقود في نواصيها الخير**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004، ص20

[4] العاديات، الآيات: 1–4.

فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاته سبحانه إليه"[1].

وليست الخيل مخلوقة للجهاد فحسب، بل كانت واحدة من متاع الحياة الدنيا وزينتها، وهذا ما هو واضح في قوله تعالى: " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ"[2].

تذكر الآية السابقة، أن الخيل واحدة من الأمور التي يتعلق الإنسان بها ويحبها، ولذلك "جاء ذكرها منفصلا عن الأنعام – وهي منها– دليلا على عظم شأنها"[3].

وفي سياق آخر، يُذكِّر الله عباده بنعمه العظيمة ومنها الخيل، التي خلقها عز وجل وسخرها للإنسان ليركبها متخذا منها زينة. يقول سبحانه وتعالى: "وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ* وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ"[4].

وفي آية أخرى تتجسد الخيل واحدة من وسائل الغواية والإحاطة، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول، في معركة إبليس مع الإنسان، إذ "يَستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات. يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة. فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال"[5]، وهذا تفسير قوله تعالى:" وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا "[6].

---

[1] قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط25، دار الشروق، بيروت، 1996، م6، ص3958

[2] سورة آل عمران، آيه:14

[3] الصبيحي،محمد بن عبد الله غبان: **خيل النبي صلى الله عليه وسلم أسماؤها وصفاتها**، مجلة سنين، السعودية،ع3، 2011، ص111

[4] سورة النحل، الآية:8

[5] قطب،سيد: **في ظلال القرآن**، م4، ص239

[6] سورة الإسراء، آية:64

وفي معرض الحديث عن الخيل في ضوء القرآن الكريم، لا بد من الإشارة إلى قصة سيدنا سليمان– عليه السلام– وما كان بين يديه من عرض الصافنات الجياد[1]. فعند قوله تعالى:" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ"[2]

وقف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى:"رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ" منقسمين إلى فرقين: حيث ذهب الفريق الأول إلى أن نبي الله، أقبل يضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته، فذبحها وقطع أرجلها، ليتصدق بعد ذلك بلحمها؛ تقربا إلى الله تعالى، حتى عوضه الله خيرا منها، فأمر الريح تجري بأمره كيف يشاء. يقول القرطبي في ذلك: "إن سليمان عليه السلام، غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس، فصلى الظهر وقعد على كرسيه وهي تُعرض عليه. فعُرض عليه منها تسعمائة فرس، فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت وفات وقت الصلاة ولم يُخبروه بذلك هيبة له، فاغتم لذلك وقال ردوها علي فأقبل عليها ضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا إلى الله وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعة الله"[3].

أما الفريق الثاني، فيذهب أصحابه إلى القول، إن مسح النبي سليمان على الخيل بيده، إكراما لها وإبانة لعزها؛ وذلك لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو، وقد تبنى كل من الرازي والطبري هذا الرأي بل وشددا عليه؛ فنبي الله، "لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويُهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها.."[4].

---

[1] في يوم من الأيام أخذ النبي سليمان، عليه السلام، خيله الصافنات الجياد، أي: التي بلغ من قوتها ومهارتها أنها تقوم على طرف سنبك يد أو رجل، وكلها جيدة وسريعة في جريها. فاستغرق نبي الله في هذا الاستعراض منشرح النفس مسرورا، ولم يشعر بمرور الزمن، ولم يفئ إلى نفسه إلا عندما رأى الشمس وقد توارت خلف الأفق، فعرف أن الخيل صرفته بجمالها وحسنها عن عبادة الله المفروضة في هذه الفترة من الزمن –فترة العصر– فقال: "إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب". والمراد بالخير: الخيل. أي: إني أحببت الخيل، واستغرقني حبها حتى نسيت ذكر ربي في هذه اللحظات التي مرّت قبل غروب الشمس. ينظر، محمود، عبد الرحيم: **قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 2010، ص256

[2] ص، الآيات:30–33

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص195

[4] الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في أحكام القرآن**، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1978، م10، ص100

وقد ذهب الرازي في سبيل تأكيد هذا الرأي إلى القول: إنه" لو كان معنى مسح السوق والأعناق قطعها لكان معنى قوله " وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ"[1] قطعها، وهذا مما لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فُهم منه ضرب العنق، أما إذا لم يذكر لفظ السيف لم يُفهم البتة من المسح العقر والذبح. والقائلون بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام أنواعا من الأفعال المذمومة (فأولها) ترك الصلاة (وثانيها) أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة، وقال صلى الله عليه وسلم " حب الدنيا رأس كل خطيئة" (وثالثها) أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة البتة (ورابعها) أنه خاطب رب العالمين بقوله "ردوها علي" وهذه كلمة لا يذكرها الرجل الحصيف إلا مع الخادم الخسيس[2]، (وخامسها) أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها وأعناقها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه "نهى عن ذبح الحيوان إلا لمأكله"، فهذه أنواع من الكبائر نسبوها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها، (وسادسها) أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله " وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ"[3] وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم "وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ"[4] وذكر قصة داود، ثم ذكر عقبها قصة سليمان، وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان، وهذا الكلام إنما يكون لائقا لو قلنا إن سليمان أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة، وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات واللذات، فأما لو كان المقصود من قصة سليمان في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لائقا بهذا الموضع"[5].

---

[1] المائدة، آية 6

[2] ذهب بعض المفسرين إلى القول، إن الهاء في فعل الأمر (ردوها) تعود على الشمس، إشارة إلى أن النبي سليمان طلب رد الشمس بعد أن فاتته صلاة العصر. وهذا التفسير ضعيف وبعيد عن وجه الصحة كما أشار الرازي. ينظر، الفخر الرازي، محمد فخر الدين: **التفسير الكبير**،م**13**، ج**26**، ص205-206

[3] ص، آية 16

[4] ص، آية 17

[5] الفخر الرازي، محمد فخر الدين: **التفسير الكبير**،م**13**، ج**26**، ص205-206

وربما اعتمد أصحاب القول الأول على الإسرائيليات، ومن المعروف، أن الإسرائيليات تزخر بالأساطير، كتلك التي كانت تدعو إلى عقر الخيل وتقدمته قربا للتقرب من الإله.

ولم يقتصر بيان أهمية الخيل ومكانتها على القرآن الكريم، بل كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– ينصح الصحابة بالعناية بخيلهم، وينهاهم عن بعض العادات الجاهلية المتبعة في تربيتها.

ففي حديث له –صلى الله عليه وسلم– نهى أصحابه عن جزِّ أعراف الخيل؛ إكراما لها ورفقا بها، ولأن ذلك من شأنه التأثير عليها فتضعف، فعن عتبة بن عبد السلمي، أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: "**لا تقصوا نواصي الخيل، ولا معارفها، ولا أذنابها، فإن أذنابها مذابُّها، ومعارفها دفاؤها، ونواصيها معقود فيها الخير**"[1].

وليس هذا وحسب، بل كان –صلى الله عليه وسلم– يحث المسلمين على إكرام الخيل، بالمسح على نواصيها وأعجازها، والابتعاد عن عادة تقليدها الأوتار. فعن أبي وهب الجُشَمي قال: قال رسول الله يقول: "**ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأعجازها، وقلِّدوها، ولا تقلدوها الأوتار**"[2].

وللحفاظ على أصالة الخيل، وسلامة نسلها، كره رسولنا الكريم، أن تنزو الحمر على الخيل. فعن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: أهدِيَت إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بَغْلَة فركبها فقلت: يا رسول الله، لو حَمَلْنا الحمير على الخيل لكانت لنا مثل ذلك، فقال رسول الله: "**إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون**"[3].

ومما يدلل على مكانة الخيل في الإسلام، أنه –صلى الله عليه وسلم– شبه أمته يوم القيامة بالخيول المحجلة، أي التي في قوائمها بياض، وذلك من آثار كثرة وضوئهم، فقال فيما

---

[1] أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، ج2، حديث رقم (2544)

[2] المصدر السابق، ج2، حديث رقم (2555)

[3] النسائي، أحمد بن شعيب: **سنن النسائي، جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، مصر، 2000، ج2، ص29، حديث رقم (3596)

أخرجه الإمام مسلم: "**إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرّا مُحجّلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّتَه فليفعل**"[1].

ومن الأحاديث التي تدل على فضل ارتباط الخيل في سبيل الله، وأن فضلها وخيرها باق إلى يومنا هذا، ما رواه أبو زُرْعة بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله، أنه قال: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَلْوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول: "**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والعافية**"[2].

فأحاديث الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، مقصود بها الخيل المُعدة لطاعة الله، والجهاد في سبيله، والدفاع عن دينه، والدليل على ذلك، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**من احتَبَسَ فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، فإن شِبْعَهُ وَرِيَّهُ ورَوْثَه وبَوْلَه في ميزانه يوم القيامة**"[3].

وقد روى الإمام أحمد حديثا قريبا من هذا المعنى، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: "**الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يُرتَبط في سبيل الله عز وجلّ، فعلفه وبوله وروثه، وذكر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر عليه، ويراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يَرتَبِطُها يلتمس بطنها، فهي ستر من فقر**"[4].

ومثل ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-قال: "**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وِزر. فأما الذي له أجرٌ فرجلٌ ربطها في سبيل الله فأطال في مَرْج أو رَوضة، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعَت طِيَلَها فاستَنَّت شَرَفا أو شَرَفين كانت أرواثها وآثارهاحسنات له، ولو**

---

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم، جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، مصر، 1421هـ، ج2، ص823، حديث رقم (4955)

[2] المصدر السابق، ج2، ص591

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**،، ط1، دار الفكر، بيروت،1991، م2، ج3، حديث رقم (2853)

[4] ابن حنبل، أحمد بن محمد: **المسند**، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1998، حديث رقم (3756)

أنها مرَّت بنهرٍ فشربت منه ولم يُرِد أن يَسقِيها كان ذلك حسنات له. فأما الرجل الـذي هـي عليه وِزْر فهو رجلٌ ربطها فخرا ورئاء ونِواء لأهل الإسلام فهي وِزرٌ على ذلك."[1]

وقد شاع في المصادر التاريخية، وكتب السيرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– امتلك سبعة من الخيل، وهي: لزاز، ولِحاف، والمُرْتَجز، والسَّكْب، واليَعْبوب، وسَبْحة، وظَرْب[2].

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، م2، ج3، حديث رقم (2860)

[2] ينظر، ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب: **نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها**، ص33

الفصل الثاني

تجليات الفرس

في الأدب الشعبي الفلسطيني

المبحث الأول

الفرس في الفكر الشعبي الفلسطيني

إن الحديث عن مكانة الفرس في الفكر الإنساني، يطول ويتسع، بحيث لا يستطيع الباحث الإلمام بكافة التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع على اختلاف المجتمعات والعصور.

ولما كان الفكر الشعبي عند أي أمة من الأمم، هو امتداد للفكر الإنساني القديم، وذلــك عن طريق الأسطورة التي هي عبارة عن مرآة اللاوعي الجمعـــي لـــدى الجماعـــات البشـــرية المختلفة، أو لدى الجماعات الإنسانية كلها، من هنا كان لابد من أن تتقاطع كثيرا من المعتقدات الشعبية السائدة في يومنا هذا، مع تلك التي وضعها الإنسان الأول وصاغها على هيئة أســـاطير وخرافات، وهذا ما يظهر بشكل واضح، في العلاقة القائمة بين الفـــارس الفلســـطيني وفرســـه، فللبدوي ولع خاص باقتناء الخيل، ولا سيما الأصائل منها، وهم يعتقدون أن لها صـــلة بطـــالع المرء، وأن ظهورها مرتع للعز، وقد ظهر في منطقة بئر السبع، عائلة من الخيـــول الأصـــائل المنحدرة عن أصل واحد وهي[1]:

- **الطويسات:** ويقال إن الجبارات أتوا بها من الحجاز.
- **المخلديات:** نسبة إلى خالد بن الوليد.
- **المكحلات:** لأنها مكحلة العيون[2].
- **العَبْيات، والكبشات**...وما إلى ذلك.

وفي أصول بعض خيولهم روايات طريفة، فالمخلديات تعود في أصولها إلى "فرس خالد بن الوليد، ولذلك فهي أشرف الأصول عندهم. وهم لا يركبون فرسا هذا أصلها إلا بعد الاغتسال

---

[1] ينظر، مشارقة، محمد زهير: **الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي**،ط1، دار طلاس للدراســات والترجمــة، دمشق، 1988، ص324

[2] سميت المكحلات بذلك لسواد ما حول عينيها، كأنه كحل. ينظر، النعيمات، يزن أحمد: **عـــالم الفروســـية**، ط1، مكتبــة المجتمع العربي، د.م، 2012، ص19.

من الجنابة. بل قالوا إذا أقبلت فرس من هذا النوع، على بدوي وهو جالس وقف إجلالا لها، وإذا لم يقف وجبت عليه اللعنة. وأما الكبيشة فلهم في أصلها رواية خرافية، قالوا خرج من البحر حصان فعلا فرسا للرميلات فأنتجت الكبيشة. وأما " العبية " فقالوا في سبب تسميتها: أن فارسا بدويا في القديم فرّ من وجه أعدائه فطاردوه أميالا فنجا منهم بسرعة فرسه ، وكان للفرس مهرة تتبعها فظن الفارس أنها تخلفت عن أمها وصارت في جرز الأعداء فلما صار في مأمن منهم التفت وراءه فإذا بالمهرة بجانب أمها تسترها عبائته فسماها العبية "[1].

وقد حظيت هذه العائلات بمكانة كبيرة عند الفلسطيني، إذ ينهج في العناية بها نهج أجداده؛ فمن العيب أن تُمنع الخيل من الأكل من البيادر أو الزرع، وفي الأقوال المأثورة: **الخيل إلها ربع الدنيا**[2]. كما كانوا يهتمون بطعامها، مبتعدين عن تقديم التبن والحشيش لها، حتى لا تصاب بداء السمنة، فهم يقولون:" **العليق[3] عند الطراد ما ينفعش**"[4]. وكانوا إذا أرادوا اقتناء فرس، يسألون عن أصلها، وإذا أرادوا المطاردة عليها، يقدمون الشعير غذاء لها. فهم يقولون في هذا السياق:"**اربط أصيل واركب شعير**"[5]. وقد ذهب هذا مثلا يحث على البذل والعطاء في حالة التعامل مع الأمور النبيلة.

وللخيل وراكبها احترام كبير عند البدو، فعندما يصل الخيّال إلى الديوان، يتسارع أبناء القبيلة لربط فرس الضيف، كما يتسارعون لأخذ مخلاتها ووضع الطعام الخاص بها، بل إنهم يعرضون طعامها قبل ذلك على صاحبها؛ لكي يتأكد من نوعيته وكميته، إذ يعتبر البدوي إكرام فرسه من إكرامه[6].

---

[1] شقير، نعوم: **تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها**، تحقيق محمد ابراهيم أو سليم، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص96-97

[2] ينظر، سرحان، نمر: **موسوعة الفلوكلور الفلسطيني**، ط2، البنك العربي المحدود، عمان، 1989، ج1، ص232

[3] العليق: نبات معروف يتعلق بالشجر ويلتوي عليه. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (علق).

[4] حمدان،عمر: ***الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**،ع3،م1، 1974، ص10

[5] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2012، ص27

[6] ثابت، محمود سالم: القضاء العشائري عند قبائل بئر السبع، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية، http://www.omelktab.net، ص237

بل إن البدو يحترمون ويقدرون الخيّال الذي يحل بهم ضيفا، أكثر من احتـرامهم للهجـان، أي راكب الهجين من الإبل[1].

ومن مظاهر تكريم الفرس في الوسط الفلسطيني، أن الناس كانوا "يتوافدون على بيت صاحب الفرس الأصيل لتقديم التهاني إذا أنجبت فرسه مهرة، وللتعازي إذا ماتت، وكانت العادة أن تُغسل الفرس الأصيلة المتوفاة، بالماء الساخن والصابون، وتُلَفّ بالقماش، وتـدفن حتـى لا تنهشها الكلاب"[2]. وإذا ما مرض الفرس وأشرف على الموت، اضطر صـاحبه إلـى إطـلاق الرصاص عليه؛ حفاظا على كرامته[3].

وفي الوقت الذي يجيز فيه البدو بيع الحصان دون قيد أو شرط، إلا أنهم يتشددون فـي عملية بيع الإناث من الخيل؛ فلا يجيزون بيعها كلها، وإنما يبيعونها بحسب الطرق التالية[4]:

أولا– المثاني: وفي هذه الحال يجري بيع الفرس، شريطة أن يقوم المشـتري بتسـليم البـائع، المهرة الأولى والثانية اللتين تلدهما الفرس التي جرى بيعها، أو اللتين تلدهما المهرة الثانية التي تنجبها الفرس المباعة.

ثانيا– المناصفة: وفي هذه الحال يجري البيع، بأن يأخذ البائع نصف ثمن الفرس فقط، ويصبح طرفا العقد، أي البائع والمشتري شريكين بالفرس موضوع عقد البيع.

ثالثا– رِجْل الفرس: "معنى رِجْل الفرس هو أن العادات المتبعة عند القبائل أن الفرس الأصـيل الطيبة إذا باعها صاحبها يستثنى في بيعه هذا فيقول: بعتـك إياهـا إلا نصـفها أو إلا رجلهـا فالنصف تعني أن الفرس بعدما تنجب مهرتها الأولى يكون الخيار للبائع أو للمشـتري حسـب

---

[1] ينظر، مشارقة، محمد زهير: **الحياة الاجتماعية عند البدو**، ص324

[2] سرحان: **موسوعة الفلوكلور الفلسطيني**، ج1، ص231

[3] ينظر، الباش، حسن وآخرون: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، د.م، 1980، ص265

[4] ينظر، مشارقة، محمد زهير: **الحياة الاجتماعية عند البدو**، ص325

الاتفاق أن يأخذ إما المهرة أو أمها.. أما إذا كان البيع على الرِجْل فيكون للبائع الحق أن يملـك المهرة الثالثة أو الرابعة التي تنجبها الفرس"[1].

وتعتبر صفة الوفاء رابطا يجمع الفرس بفارسها؛ فمن المعروف عن الفرس الأصيلة أنها تطوف حول فارسها بعناية، إذا ما وقع عن ظهرها. وتتوافر مرويات شعبية عن وفاء الفـرس الأصيلة، وفهمها واستيعابها لأمور فوق قدرة الحيوان على الاستيعاب.

وكثيرا ما لجأ الفلسطيني إلى تعليق حذوة الفرس في أعلى باب البيـت مـن الخـارج؛ لاعتقاده أن ذلك يردّ العين الحاسدة عن هذا البيت، وربما اعتقدوا كذلك أن هذا يجلـب الحـظ لساكني البيت، وهم في هذا يسيرون على درب القدماء الذين اعتقدوا أن للحذوة قدرة على ردع الشيطان[2]، وربما كان اتخاذ الحذوة نوعا من السحر التشاكلي[3]، إذ جرى الاعتقاد بـأن للعـين صوتا يشبه صهيل الخيل، وإذاما أرادت المرأة الفلسطينية إخراج هذه العين من البيت وساكنيه، تلجأ إلى قراءة التحويطة[4]، بحيث تأمر فيها العين بالخروج كما تخرج المهرة من بطن الفرس، فتقول[5]:

طبخنـا عـدس، وسـقينا عـدس،

والمـرة عزمـت، والزلمـة عـبس،

اطلعي يا عين، كما طلعت المهرة من بطن الفرس

قـال لهـا يـا عـين ويـن رايحـة؟

قالـت لـه رايحـة علـى الولـد المولـود،

---

[1] المارك، فهد: **من شيم العرب**، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1963، ج3، ص237

[2] الرسالة ص 15-16

[3] ويُعرف أيضا بسحر المحاكاة، إذ يقوم على استخدام مبدأ التشابه " الشبيه ينتج الشبيه". ينظر، الساعاتي، سامية حسـن: **السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميداني**، ط1، مكتبو الأنجلو المصرية، 1982،ص102.

[4] التحويط: وسيلة من وسائل الرقي، ويكون بالتحويط على إنسان من إنسان، وعلى إنسان من حيوان، وعلى حيوان مـن حيوان، وعلى إنسان من أرواح خفية وشريرة. كمال، فريد: **مقطتفات من المعتقدات الشعبية في فلسطين**، مجلة التـراث والمجتمع، ع5،1976،ص93

[5] الخليلي، علي: **الغول- مدخل إلى الخرافة العربية**، ط1، منشورات الرواد، القدس، 1982، ص 64

وعلـــــــــى الشـــــــاب الموعـــــــــود

فـــات ســـيدنا ســـليمان فـــي ظـــلام الليـــل،

لقاهــــــا تصـــــــهيل صــــــهيل الخيـــــل....

كما ذهبوا إلى الاعتقاد، بأن الفرس يستطيع رؤية ملك الموت وهو قادم، عندئذ يضرب الأرض بإحدى قائمتيه الأماميتين، لذلك فهم يتشاءمون من هذه الحركة التي يحـدثها الحصـان أحيانا، لأنها ربما تعني الموت لأحدهم، وربما يرجع ذلك إلى أن العرب كانوا يرون في بعض الحيوانات قوة خارقة تمكنهم من رؤية الأشباح والعفاريت وغيرها مما لا يمكن للانسان رؤيته، فهم يعتقدون بأن الجياد، حين تصادف شبحا في طريقها، فإنها تأبى الاستمرار في سيرها.

ولحث الفرس على الجري السريع، كانوا يعلقون عليه من أسنان الذئب[1]. ومن الطبيعي أن لا يأتي اختيار أسنان الذئب صدفة، فقد اعتقد القدماء أن الجن تتخذ من الذئاب مطية لها، من هنا كانوا يرون أن وجود هذه الأسنان، يساعد في إبعاد الشر وطرد المرض[2]

وقد ذهب كثيرون إلى الاعتقاد أن الفرس "إذا وطئ أثر الذئب خُدرت قوائمه حتـى لا يكاد يتحرك، فيخرج الدخان من جلده"[3]. والدخان، كما هو سائد في الفكر الشعبي، هو واحد من المواد التي خلقت منها الجن[4].

ومن المعتقدات السائدة عند البدو، أن الحصان إن كان محجل الثلاثة مطلـوق اليسـار، فهو مصدر شؤم، لأنه في اعتقادهم قاتل صاحبه لا محالة، وهذا خلاف للحصان المحجل الثلاثة مطلوق اليمين، فهو في نظرهم فأل خير[5]، كما كانوا يتفاءلون بالفرس الحمراء[6].

---

[1] ينظر، الناصري، أديبة: **حياة الحيوان بين التوحيدي والدميري والجاحظ**، مجلة التراث الشعبية، ع3، 1980،ص145

[2] الباش، حسن وآخرون: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص297

[3] المرجع السابق، ص147

[4] ينظر، الجوهري، محمد: **علم الفولكلور دراسة المعتقدات الشعبية**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980، ج2، ص384

[5] ثابت: **القضاء العشائري عند قبائل بئر السبع**، ص237

[6] ينظر، مشارقة، محمد زهير: **الحياة الاجتماعية عند البدو**، ص324

كما بلغ اهتمام الفلسطيني بالخيل حدا جعله يقيم من أجلها السباقات، فبحلول ذكرى المولد النبوي الشريف من كل عام، كانت مدينة عكا تستضيف مهرجانات قطرية لسباق الخيول الأصيلة، يعرف بسباق عكا، كما شارك الفرس في السباقات التي كانت تعقد في المناسبات الكبيرة: مثل عقد صلح مع قبيلة باغية أو قرية معتدية، واستقبال كبار الضيوف، وفي مناسبات الأفراح المختلفة[1]، فالعريس يُزف على ظهر حصان مُعدّ خصيصا له، والعروس تعتلي صهوة الفرس حين تنتقل إلى بيت زوجها، " وقديما كان أهل الطفل الذي يختم القرآن في المدرسة، يحتفلون بزفته إذ يركبونه على فرس مزينة... ويزفونه بالغناء والزغاريد"[2].

يضاف إلى ذلك، أن الحصان كان واحدا من الرموز الأساسية في نقوش ثوب المرأة الفلسطينية، "فخلال ثورة 1937، ارتبط الحصان بالفارس الثائر، لذا كان لا يزخرف إلا على ثوب زوجة الثائر أو الفارس فقط، وما زال الحصان يظهر على ثياب أهل القدس على الصدر والبنايق[3]، وكان يُطَرَّز جزء منه أو كله، والجزء هو الرأس أو العنق"[4].

[1] ينظر، خير، نزيه: **دالية الكرمل في ثلاثمائة عام**، دار الهدى، كفر قرع، د.ت، ص99

[2] ربيع، وليد وآخرون: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني- قرية ترمسعَيا**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، 1987، ص173

[3] البنايق: أكمام الثوب وجوانبه.

[4] العلان، مروان: **التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني**، بحث قدم لمؤتمر الفن والتراث الشعبي الفلسطيني الثالث، جامعة النجاح، نابلس، 2011، ص14

المبحث الثاني

الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني

لأن الأدب وعاء تصب فيه القيم الفكرية والفلسفية، نجد أن فلسفة الإنسان حول الفرس كانت وما زالت دائمة الحضور في أدبه الشعبي، فهو الأدب الذي من خلاله، يعبر الانسان عن حال الأمة في السلم والحرب، في الفرح والترح، وفي غيرها من المناسبات الاجتماعية حاملا معه رموزا أسطورية مختلفة.

ومن هنا، وانطلاقا من فكرة اللاوعي الجمعي، الذي يعد صلة وصل تساعد على الربط بين معتقدات الأمم على اختلاف الزمان والمكان، اتجه الأدب الشعبي الفلسطيني إلى عكس تاريخ عريق من الفكر والمعتقدات التي تأصلت عند أجداده حول صورة الفرس، فجاء هذا الأدب زاخرا بالحديث عن الخيول، سواء أكان ذلك في الشعر الشعبي وما يتفرع عنه من قصيدة وأغنية، أم في الأقوال والأمثال، أم في الحكايات، والألعاب الشعبية.

أولاً: الفرس في الشعر الشعبي

يشمل هذا الجانب من الأدب الشعبي الفلسطيني، "كل الكلام المنظوم باللهجة الفلسطينية الدارجة، سواء كان على شكل أغانٍ سعيدة أو حزينة، أو على شكل قصائد "يَعُـدُّها" الشعراء الشعبيون عَدًّا، أي إلقاءً، وفي حالات معينة يغنيها فرسان الربابة على ربابتهم"[1].

ويقسم الشعر الشعبي إلى قسمين رئيسين هما: القصائد والأغاني.

1. الفرس في القصيدة الشعبية

تتلاقى القصيدة الشعبية مع الفصحى في جوانب كثيرة، منها الالتزام بالوزن والقافية، فهي دائما على بحر من بحور الشعر الفصيح، وعلى نفس الطريقة الفصحى بالنسبة للقافية والرويّ[2].

---

[1] البرغوثي، عبد اللطيف: **ديوان العتابا الفلسطينية**، مؤسسة البيادر، القدس، 1986، ص48

[2] المرجع السابق، ص49.

ولما كانت القصيدة الشعبية تستوطن في المرتبة الأولى البوادي، كان لابد من ظهور الفرس في أشعارهم؛ باعتباره واحدا من أهم مظاهر الحياة في الصحراء؛ فهو وسيلة السفر، يمتطيها البدوي إن أراد النزول ضيفا على شيوخ كرام، ثقال في مجالسهم؛ فلراكب الفرس – كما مرّ سابقا– مكانة مرموقة ودلالة على نبل فارسه. يقول الشاعر حرب أبو ربيعة[1]:

يا راكب الـي فـي المشـاحي السـريعة   تلـذعت تطـرا عليهـا الجفـال

مثـل الغـزال الـي اشـرف بالطليعـة   لـن رايـب القنـاص فـي دوّ خـال

يـا راكـب ان ودك تزيعـه   اوصـيلك لا ترخـي عليـه الحبـال

تلفـي علـى الشـيخان زلـم سـجيعة   زلـم تلقـاهم بالمجـالس تقـال[2]

فالشاعر يرسم بألفاظه لوحة جميلة للفرس، مظهرا أصالته وسرعته التي تشبه سرعة الغزال حين يجفل هاربا من قناصه في بيئة خالية.

وإضافة إلى الأبيات السابقة، هناك قصائد أخرى تخاطب راكب الفرس، فتبدأ بوصف فرسه والإجادة بقوته وسرعته، حتى يصل بعدها إلى الهدف الرئيس من وراء نظم هذه القصيدة، فتكون لوحة الفرس مطلعا للقصيدة. ومثل ذلك ما كتبه المُتَعبِّد شبيب السردي إلى صديقه نمر العدوان، ليستشيره في أمر فتاة جميلة كانت تغريه بنفسها، فيبدأ قصيدته قائلا[3]:

يـا راكـب الحَمْـرا لهـا الكـوْرْ دَنِّـي   عِرْمِـلْ غَرَنْـدَلْ ذاتْ غُـرًّا وفَنَّـا[4]

فالشاعر هنا، يُمهد للحديث عن المحبوبة، بإسقاط الصفات التي يتمناها بأن تكون في محبوبته، على الفرس الحمرا التي يخاطب راكبها.

---

[1] نمر، عمر عبد الرحمن: **شعر البادية في النقب جمع ودراسة**، إشراف د.يحيى جبر ود.إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002، ص178

[2] المشاحي السريعة: الدروب الطويلة، تلذعت: تعودت، تطرا: يظهر عليها، رايب القناص: القناص هو الباحث، تلفي: تقدم، الشيخان: الشيوخ، زلم سجيعة: رجال كرم.

[3] البرغوثي: **ديوان العتابا الفلسطينية**، ص49

[4] الكور: الرحل، دني، اقترب، عرمل:ضخمة، غرندل: صلبة مصقولة.

ومثل ذلك نراه في قصيدة للشاعر براك أبو تايه، يُحمّل فيها الشاعر الفرس والفارس جوابا لصديقه الشاعر محمود البطوش، قائلا[1]:

يا راكبا من عندنا فوق مطواع	**أمه أصيلة ودربوها صعيدي**
حر إمصيفي لا مشي بقرط الباع	**حلو هزيله مع صحاصيج ريدي**
الي عليه من الهواجس ملتاع	**معه جوابي يوصله لا سديدي**
سلم على محمود واشرح له أوضاع	**قافه جرح للقلب جرحا مجيدي**

فالشاعر في وصفه للفرس، يستخدم صيغة المبالغة، "مطواع"، ليعطي دلالة واضحة على العلاقة الحميمة التي تربطه بفرسه، الأمر الذي يجعله لا يرد لصاحبه طلبا، كيف لا وهو ابن فرس أصيلة، ينحدر من سلالات عريقة، لذا فلا عجب أن يحمل صفات مميزة، مثل السرعة في العدو، وهذا ما يوضحه قول الشاعر:" حر إمصيفي لا مشي بقرط الباع"، وهزله دلالة على سرعته وكثرة جريه. يضاف إلى ذلك كله جمال منظره.

وفي قصيدة "أنا بدوي" يصف الشاعر طبيعة الحياة التي يعيشها أهل البادية وسط صحراء قاحلة، فيذكر المقومات الأساسية التي يحتاجها هذا البدوي كي يحيا حياة كريمة طيبة. ومن بين تلك المقومات، تظهر صورة الخيول في المعارك التي تخوضها قبيلة الشاعر، وكأنها جزء أساسي في عملية الفخر والاعتزاز بشجاعة رجال القبيلة وقوة فرسانها.

فحين تقرع طبول الحرب، ترى خيول قبيلتهم مجهزة ومستعدة لخوض أقوى المعارك وأعنفها[2]:

وعَ السيف والرمح تعلّموا الأجيال	**وخيول ضمر إلى الهيجا ربطناها**
العبد ضرب الطبلة استيقظ الغفلان	**عَ شكل لمح البصر خيولنا سرجناها**
قال الأمير يا عبدي شد ظهر الحصان	**ركب الأمير وقبيلتنا حوطناها**

---

[1] نمر، **شعر البادية جمع ودراسة**، ص182

[2] حمزة، حسين: **الطائر المحكي دراسات في الشعر الشعبي**، ط1، منشورات مواقف، الناصرة، 2001، ص104

ثم يبدأ الشاعر بعد ذلك برسم صورة حية للمعركة، فتجتاح خيول القبيلة ساحة المعركة كما يجتاح السيل الأرض فتمتلئ بالماء بسرعة كبيرة وزمن قصير[1]:

قـــال الأميـــر هيّـــا حومـــة الميـــدان   خيول مثل السيل عَ الجبهـــة دفعناهـــا

صـــارت عريكـــة لهـــا شـــابت الولـــدان   ميتين فارس بربـــع ســـاعة أســـرناها

حتـــى العقيـــد انأســـر وانهـــزم الجبـــان   قمنا خيـــولهم مـــع خيولنـــا ضـــببناها

إن استخدام الشاعر للفظة السيل، في سبيل تشبيه طريقة دخـــول الخيـــول إلـــى أرض المعركة، يضفي على لوحة المعركة عنصر الرهبة، فالسيل حين يدخل المكان يقضي على كـــل ما فيه، دون أن يترك لأحد، مجالا للفرار والنجاة منه، فهو كلمح البصر يجتاح ويأخذ معه كـــل ما يراه في طريقه، وهذا ما حدث على أرض المعركة إذ قامت الخيول التابعة لقبيلة الشـــاعر، بمهمة السيل، فخلال ربع ساعة كانت المعركة قد انتهت لصالح قبيلته.

وعلى غرار قول المتنبي[2]:

(البسيط)

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفنـــي   والسيف والـــرمح والقرطـــاس والقلـــم

وقوله في موضع آخر[3]:

(الطويل)

أعـــز مكـــان فـــي الـــدنا ســـرج ســـابح   وخيـــر جلـــيس فـــي الزمـــان كتـــاب

يفخر الشاعر الشعبي بفروسيته، وبأن الخيل تليق به وهو فارس الصحراء التي يصعب العيش فيها[4]:

الخيـــــــل والبيـــــــدا تلبقلـــــــي   ســـــــيفي ورمحـــــــي يشـــــــهدلي

---

[1] حمزة، حسين: **الطائر المحكي دراسات في الشعر الشعبي**، ص105

[2] المتنبي: **الديوان**، ص332

[3] المصدر السابق، ص479

[4] نفسه، ص168

ومثل ذلك نجده، في قول مخلد الزوايدة[1]:

أنا لهـا بالشـعر فـي حـروة الصـيف بين القلم والسيف والطـرس والخيـل

فارس نهار الكـون نـازي عـن الحيـف يكر روحـه بـين صـفق المصـاقيل

فالشاعر هنا يعلن للملأ، أنه فارس مغوار في أشد المواقف والأزمات "حروة الصيف"، وهو في الوقت نفسه، فارس فكر، سديد الرأي ممتلكا ناصية الأخلاق الحميدة.

إن ما قدمته الباحثة من قصائد شعبية، تتضح فيها صورة الفرس، ما هـي إلا نمـاذج وعينات، استخلصتها من كم هائل من الأشعار التي تدور في المحور ذاته، ألا وهو الحديث عن فخر واعتزاز الشعراء واعتزازهم بالخيل العربية الأصيلة.

2. الفرس في الأغنية الشعبية

للأغنية الشعبية ألوان كثيرة وفنون متعددة، فمنها: العتابا والدلعونا والدبكة، ويا زريف الطول، وعاليادي اليادي والجفرا، ويا هويدلي، وعالأوف مشعل، وأبو الزلـف، والسَـحْجة أو السَّامر أو الملْعَب، والزفة، والزجل، وأغاني النساء والأطفال، والشوباش أو الـواو، وأغـاني الحماسة، وأغاني المواسم والحج والاستسقاء، وغير ذلك.

وقد كان للفرس نصيب، من معظم هذه الألوان، وذلك لما كان له من مكانة مميزة فـي حياة الفلسطيني الاجتماعية؛ فقد استخدم بما يساعد على الظهور بمظهر الغنى والعـز والجـاه، وهذا ما عبرت عنه كلمات الأغنية التي كان الشباب يتغنون بها في السحجة الجماعية، التي تقام في الأعراس:

إحنا على ظهور الخيل تعلمنـا الفروسـية

ركوبك والله يا هالخيل عز وبسط وكيّفيّـة

---

[1] نمر: **شعر البادية في النقب جمع ودراسة**، ص182

والضيف حين ينزل بدار القوم معتليا فرسه الأصيلة، يوحي بذلك أنه أهــل للاحتــرام، وهذا ما نجده في بعض الأغاني الشعبية، كتلك الشائعة في مدينة بيت لحم، والتي تبــين مكانــة الفرس المعادلة لمكانة صاحبه عند الشخص المُضيف[1]:

مِــــــــــيْنْ دَقْ عَ البــــــــــاب كُــــــــــونْ رَنْ جَرَسُــــــــــهْ

يــــــــا فْــــــــلانْ وْفَرَسُــــــــهْ يــــــا فْلانِــــــةْ افتحــــــي لُــــــهْ

وتُظهر الأغنية في بعض المواضع، مكانة الفرس في نفس الفلسطيني، حتى غدا تعلــيم الأطفال ركوب الخيل فخرا يتغنى به الأهل والأقارب، فمن ردّات الحدّاية في قرية "طيرة حيفا" وقرى الجوار، نسمع مثل هذا الحداء[2]:

والشبّ يركــب مهرتــو مــن عمــر ثمــاني ســنين يا حلالــي ويــا مــالي

يا ناس صــلّوا عــالنبي هــالعزّ مــن أصــلٍ متــين يا حلالــي ويــا مــالي

وبفعل الأغنية الشعبية، حفظت الذاكرة الفلسطينية أسماء بعض الأفراس وصفاتها التــي لها دور مميز في حياة أصحابها؛ فعلى سبيل المثال، ارتبطــت الفــرس التــي أطلــق عليهــا لقب المزيونة، بصاحبها مشعل، وقد عرف عن مشعل بأنه ذلك الفتى الوسيم، مــداوي جــروح القلب، وهو الذي لا يليق به إلا "الفرس المزيونة" و "السيف اليماني". وقد وصفت لنا محبوبتــه ذلك كله في أغنية انتشرت في كل مكان، حتى صارت رمزا للتعبير عن اللوعة الإنسانية علــى الأعزاء[3]:

أنــــــــا شــــــــفت مشــــــــعل جــــــــاي مــــــــن الطاحونــــــــة

يــــــــا خــــــــدود مشــــــــعل بــــــــالعطر مدهونــــــــة

يلبــــــــق لمشــــــــعل الفــــــــرس المزيونــــــــة

---

[1] لوباني، حسين علي: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2007، ص255

[2] المرجع السابق، ص305

[3] ينظر، زيّاد، توفيق: **صور من الأدب الشعبي الفلسطيني**، ط2، مطبعة أبو رحمون، عكا، 1994، ص69و 75

والسـيف مجـوهر والمـرتين عُربـاني[1]

يضاف إلى ذلك كله، أن الفرس كان من المقومات الأساسية في الطقوس المتبعة في المراسم المختلفة، كمراسم الأفراح من زواج وختان ونجاح وتهنئة بالحج، ومراسم الموت والمطالبة بالأخذ بالثأر، ومقارعة العدو في الميدان. وقد كان للأغنية الشعبية دور كبير في مواكبة وتسجيل جميع التفاصيل المتعلقة بهذه الطقوس.

أ. الفرس وأغاني الأفراح

لم تكن تمرّ على الفلسطيني مناسبة من المناسبات السعيدة، إلا ومثّل الفرس فيها دورا أساسيا، ففي الأعراس كان موكب الضيوف الذين يتوافدون من القرى المجاورة، يتقدمه فرسان ممتطين صهوات الخيول، فيتجمع أقارب العريس ويستقبلونهم بالغناء والترحيب وإطلاق النار والزغاريد، واصفين طلة ضيوفهم[2]:

طلّوا من الشرق صِبيان عا فوق حُمر وثنايا
ملبوسهم غير البْولاد لَ تْحَدَّروا عَ المنايا

ومن ذلك أيضا[3]:

يا مرحبا يا اعْزازي من فوق حَمرا تْزازي
واللي ما تِفرح بْطَلِتْكم تُطق مِثل القْزازي

ولا يختار هؤلاء الفرسان إلا الخيول الحُمر، إذ يُعرف هذا النوع من الخيول بشدته وصلابة حوافره[4]، مما يضفي على إطلالة الضيوف نوعا من الهيبة والقوة.

وفي الزفة أو ما يُعرف ب" الطوفة" كان العريس يخرج إلى ساحة الاحتفال راكبا حصانه وحاملا مظلة مزينة، إذ يوكل لابن عمه أو أخيه مسك لجام الفرس، ليسيروا بعد ذلك بين الجموع فتبدأ النساء تغني قائلات:

---

[1] المرتين: البندقية

[2] ربيع، وليد وآخرون: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص54

[3] المرجع السابق، ص55

[4] ينظر، الألوسي، محمود شكري: ***رسالة في الألوان***، **مجلة المجمع العلمي**، دمشق، آذار 1992، ج3، ص79

شَـدوا عَ الخيـل يـا صِـبيان شِـدوا   شِدوا عَ الخيـل فـي بـاب المَضـافة

عُـرس الشـباب بـدي لـه زرافـة[1]

وفي اللحظة التي تسبق امتطاء العريس صهوة الحصان، كانت النسوة يرددن مجموعة من الأغاني، منها[2]:

بـاب السـرايا عـالي   لَشْـبكها بالفوطـة

جيبـوا العـريس لَيْركـب   هـايي المهـرة مربوطـة

ومن ذلك أيضا قولهن[3]:

عـدّدوا المهـرة[4] وشْـدّوا عليهـا   تييجـي العـريس يركـب عليهـا

عـدّدوا المهـرة وهـاتوا البـارودة   وزفّوا لـي العـريس لبيـت الجـدودِ

عـدّدوا المهـرة وهـاتوا الشـبريّة   وزفّـوا لـي العـريس لبـاب العليّـة

عـدّدوا المهـرة وهـاتوا اللجـامِ   وزفّوا لـي العـريس لبيـت الأعْمـامِ

وعن طريق الأغنية الشعبية يمكن تَصَوّر ذلك المشهد الذي يظهر فيه العـريس فـوق الحمرا، وحوله مجموعة من الفرسان يعتلون صهوات خيول مزينة بالحلي والأجراس والألوان المختلفة، وهي ما عُرفت بالخيول المبرشمة.

وقّفـوا الحمـرا وشـدّو عليهـا   تـا يجـي العـريس ويركـب عليهـا

وادرفـوا لاولاد عمّـو بـالأول   بالخيول المبرشمة يطاردوا له (يخيّلـوا)[5]

---

[1] إن الزرافة المذكورة في هذا الغناء، هي تمثال الخشب، بحيث يتم تلبيس هذا التمثال ملابس نسائية وذهبا وحليا ويُـنَقش ليظهر بمظهر نسائي جميل، تحمله قريبات العريس ويرقصن به أثناء سير الفرس في الزفة. ينظر، ربيـع: **دراسـة فـي المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص45. وهذا التمثال يشبه إلى حد كبير تمثال عشتار الذي كان يصـنع فـي عيـد الربيع عند القدماء. ينظر، السواح: **لغز عشتار**، ص305

[2] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص149

[3] المرجع السابق، ص151

[4] عددوا المهرة: أي ألبسوا الفرس عدّتها

[5] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص235 و ص151

ويواكب الفرسان الزفة مكونين أشبه ما يمكن أن يوصف بحرس شرف، فيعطون للمشهد بهجة ورواء، حين يتسابقون بملابسهم المزينة وخيولهم الأصيلة المزينة، وهذا ما عبرت عنه أغاني الطوفة[1]:

يـــــا دار ريتـــــك عــــامرة عَ الـــدهر عـــزّك مــا يـــزولْ

وهـــاي دار العـــزّ وأْحنــا رجالْهــا وْخيلنــا تـــدوس المنايــا خيلنــا

ثم تبدأ النسوة بالمهاهاة[2]:

هـــــــا هـــــــي

ســـاحة بلـــدنا للهـــوى ميـــدان

هـــــــا هـــــــي

فيهــا الخيــل تْخُــبّ فـــي الرْســانْ

هـــــــا هـــــــي

أنــو شــجيع الخيــل اللــي قــدّم فرســه

هـــــــا هـــــــي

هــذاك أبــو فــلان يــا رب تحفظــه[3]

ومثل ذلك قولهن[4]:

ها هي

يـــا صُـــويحبي يـــا مهيـــرة النايفـــة شوقي أردفني وَراك من هيلـــي خايفـــه

ها هي

---

[1] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص152

[2] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج1، ص231

[3] تخب: تتمايل، الرسن هو المقود، شجيع الخيل: عقيد القوم، يا رب جيرها: احمها يا رب

[4] ربيع، وليد: **دراسة في** المجتمع **والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص230

هيه يـــا صُـــويحبي يـــا رَكّـــاب الفـــرس   شوقي أردفني وراك يا خيّـــال الفـــرس

ولما كانت الخيول المرافقة للزفة، تعطي للمشهد رونقا وبهجة، بل وتجعله أشبه بموكب الملوك، من هنا كان الخوف من أن يصاب هذا الموكب بالعين الحاسدة، الأمـــر الـــذي يجعـــل النسوة ينشدن مطالبات أم العريس بزغرودة، وكأنها تعويذة تدفع شر العيون عن ولدها:

في الحارة يـــا عـــود القنـــا فـــي الحـــارة

العـــــريس وربعـــــو راكبـــــين مهـــــارة

زغريتيلـــــو يـــــا مـــــو يـــــام أســـــوارة

لخـــــوف بنيـــــك لتصـــــيبو العـــــين

***

يـــــا مرحبـــــا هـــــذا بنـــــيّ معـــــاهم

والخيـــــل تلعبـــــو علـــــى الصـــــفين

وفي أثناء سير الموكب، تنشد النسوة أغنية "طاحت الخيل"، وفيهـــا يطـــالبن الحضـــور بالتسمية على العريس خوفا من الحسد، إذ يقلن في هذا المقام[1]:

طاحت الخيل تلعب فـــي ميـــدان الشـــباب   بالله تصلوا عالنبي قبل تشوفوا الأحبـــاب

طاحت الخيل ترقص في ميـــدان العـــريس   يا صلاتك يا محمد يا خزاتك يـــا إبلـــيس

طاحت الخيل ترقص فـــي ميـــدان الخلّـــان   بالله تصلوا ع النبي قبل تشوفوا العرسان

طاحت الخيل تلعب فـــي ميـــدان العـــريس   بالله تصلوا ع النبي قبل تشوفوا العريس

كما يمكن أن نستتشف من الأغنية السابقة، دور الفرس في مراسم الزواج، وذلـــك فيمـــا عُرف برقص الخيل، فمع ضربات الطبل في الأعراس، تهيج الخيول وتهتز، وتأخذ في تحريك رجليها ويديها دلالة على النشوة[2].

[1] جاد الله، خليفة محمد: **الأدب الشعبي في فلسطين أغاني النساء أنموذجا**، بحث مقدم إلى المؤتمر الفنـــي الثالـــث للفـــن والتراث الشعبي الفلسطيني، جامعة النجاح، نابلس، 2011/2010، ص20

[2] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط2، دار علوش للنشر، بيرزيت، 2001، ص248

واسْـــمَعوا دَبْكِـــةْ خَيْولِـــه يـــا دَيّـــه   وأَقْلَقَـــتْ نـــوم الأعـــادي يـــا دَيّـــهْ

وعند إحضار الطعام للمعازيم، تبدأ الصبايا بالغناء لحاملي المناسف على ظهر الخيـــل، قائلات[1]:

يـــا عيـــال أهلنـــا يـــا حمـــول الخيـــل   جيبـــوا المناســـف وانهضـــوا بالحيـــل

ولا يقتصر الطعام على الضيوف، بل يتوجب على العريس إطعام خيول الوافدين، لأن إكرام فرس الضيف من إكرام الضيف نفسه.

إن المتأمل في المشاهد السابقة، لا بد وأن يلاحظ التشابه الكبير بين كثير من الطقـــوس المتبعة في العرس الفلسطيني، وطقوس الزواج المقدس " عيد الربيع "عند القدماء، والذي كـــان يعقد سنويا، حيث يمثل الملك دور تموز، في حين تمثل إحدى الكاهنات دور الإلهة عشتار؛ ففي ذلك العيد كان الناس يتوافدون من كل مكان، حيث يتقدم الموكب فرسان جللت خيولهم بالأقمشة وزينت غررها بالأرياش، لتبدأ بعد ذلك سباقات الخيل بظهور الملك ممتطيا صهوة حصانه.

ومن الجديد ذكره، أن هذا العيد لم يندثر حتى يومنا هذا، فما زالت شوائبه عالقـــة فـــي اللاوعي الجمعي، وهذا ما يوضح التشابه الكبير الذي ظهر في طقوس الأعراس، وعيد النيروز، وشم النسيم وأعياد محلية صغيرة في سورية، كيوم خميس المشايخ[2].

وليس هذا وحسب، بل تذهب الأغنية الشعبية إلى أبعد من ذلك، حين تماهت مع بطـــل الأسطورة العربية،الفارس المغوار، عنترة بن شداد، والذي نسبت إليه العديد من الحكايات التي تعدت الواقع، ليصبح بطلا خارجا عن حدود الزمان والمكان. وها هو الفلسطيني يتخذ من تلـــك الشخصية وسيلة يسلط من خلالها الضوء على العريس، فيشبهونه بعنترة، كما شـــبهت الفـــرس التي تحمله بأبجر، وهو الحصان الذي خاض مع صاحبه عنترة، أشد المعارك فتكا.

تقول الأغنية في ذلك[3]:

---

[1] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص154

[2] ينظر، السواح: **لغز عشتار**: ص305–310

[3] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص233

عريسـنا عنتـر عـبس عنتـر عـبس عريسـنا

عريسـنا عنتـر عـبس مـن فـوق أبجـر معتلـي

وهناك أغنية أخرى يرددها أصدقاء العريس، مؤكدين الشبه بينه وبين الفارس عنتـرة، بقولهم[1]:

قـول شـقره مـن الخيـل وجلالهـا مـن ذهـب أصـفر

خيّالهـا العـريس اسـمر اللـون يشـبه الأميـر عنتـر

إن هذا الربط الواضح بين التراث الشعبي الفلسطيني والأساطير القديمة، إنما هو بمثابة تأكيد على أن الأسطورة كانت وما زالت من أهم المصادر التي تسقي تراثنا وتُخصب مادته.

وكما لعب الفرس دورا مهما في زفة العريس، كذلك الأمر فيما يتعلق بطلعة العـروس، فبعد أن ينتهي نقوط العريس في الديوان يخرج هو ومن معه من أقاربه والضيوف، حيث يكون أقارب العروس في انتظارهم ويأخذون معهم الفرس التي زف عليها العريس. وكان من العـادة أن تحنى الفرس في ليلة حنة العروس بوضع الحناء في النقاط البيضاء[2]، بحيث يتم ذلك وسـط غناء النسوة اللواتي يرددن أغاني الحناء ومنها[3]:

يا مْحَنية العـرايس وامشـي فـي الليـل

وادعْـس عالميكينـة وسـروج الخيـل

ويبدو أن المُحَنية في مشيها فوق سروج الخيل، كانت تمارس طقسا تبطل مـن خلالـه مفعول السحر الذي يمكن أن تكون إحداهن صنعته لها عن طريق الحنـة، فقـد عُـرف عـن الساحرات قديما، قيامهن بأخذ بقايا حنة العروس ودفنها في قبر منسي ليتمتمن بعد ذلك بعبارة: "

---

[1] عرنيطة، يسرى: **الفنون الشعبية في فلسطين**، ط3، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1997، ص150

[2] ينظر، ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص47

[3] المرجع السابق، ص242

انغلقي بالعروسة كما يغلق هذا القبر على هذا الميت وما تنفتحيش حتى انجّي هذه الحنة من هذا القبر"[1].

وبالوقوف عند عادة تخضيب العروس والفرس بالحناء، لا بد من العودة إلى البدايات، حيث كان الاعتقاد شائعا بأن الجن تحضر زفاف العروسين، وبالتالي فإن السواد الموجود في الحناء من شأنه أن يدفع الشر عن العروسين، وقد يكون ذلك من باب السحر التشاكلي؛ لأن اللون الأسود والأحمر أحب الألوان إلى الشيطان[2].

يضاف إلى ذلك أن الحناء تعد من النباتات التي لها قدرة على إبطال مفعول السحر والحسد، وذلك نظرا لأن الجن، بحسب ما يعتقدون، تتخذ من الأماكن التي تزرع فيها هذه النبتة، مأوى لها. وليس هذا وحسب بل إن للحناء، كما اعتقد المصريون القدامى، القدرة على منح الخصب والذرية للمرأة العقيم، وذلك باغتسالها بماء أخذ من النيل وأضيف إليه بعض الحناء. وهناك من يربط بين ما للحناء واستخداماتها من جانب وبين ما أحاطوها من معتقدات بشأن أصلها فهي في نظرهم اقتربت من الطوطم واكتسبت خصائص العناصر المقدسة؛ فحواء حين هبطت من الجنة إلى الأرض، أخذت تبحث عن آدم فلم تجده، فسالت منها أول دمعة، نبتت مكانها أشجار الحناء[3].

كما وتعد ليلة الحناء بمثابة فرصة للنسوة، إذ يلقين على العروس دروسا ونصائح قيّمة كي تبدأ حياة جديدة منعمة، إذ يطالبنها بأن تبقى متحلية بأخلاق أمها الأصيلة، وللتأكيد على تلك الأصالة، يلجأن إلى تشبيه والدتها بالفرس الأصيلة ووالدها بالحصان، إذ ينشدن قائلات[4]:

كوني سَميحة مْليحة نَعَمِ للعِيلة   كوني مْليحة يا بنت الفرس الأصيلة

---

[1] ينظر، شبحة، بداك: **الوظيفة السوسيولوجية للسحر عبر الأسطورة القبائلية- دراسة سوسيويوجية**، رسالة جامعية إشراف مغربي عبد الغني، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص54

[2] ينظر، صالح، حليمة: **الجن في الشعر الجاهلي**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005، ص40 و54

[3] ينظر، السيد، عبد المؤمن وآخرون: **رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة – دراسة إثنوجرافية بإحدى المدن الليبية**، مجلة كلية الآداب- جامعة بنها، ع 19، مج2، يوليو 2008، ص53-60

[4] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص243

كــوني ســميحة مليحــة نَعَــمِ للجيــران   كوني مليحة يا بنت الفرس والحصــان

أما يوم الطلعة، فتأخذ النسوة على عاتقها تشجيع العروس على ركوب الفــرس، وذلــك وسط مجموعة من الأغاني منها[1]:

قْومي اطْلعي قْومي اركبــي مِــش هَمــك   واحنا حَطينــا حْقــوق أبــوك وعمــك

قْــومي اطْلعــي قــومي اركَبــي مِنحالــك   واحنا حَطينــا حقــوق أبــوك وخالــك

*

قــــــومي اطلعــــــي لا تخــــــافي   يــــــا هيلــــــك مَــــــلا المضــــــافي

قــــــومي اطلعــــــي يــــــا نَشْــــــمِيه   يــــــا هيلــــــك مَــــــلا العِلِيِّــــــه

ولكي يزدن من تشجعيها، تعمد النسوة إلى وصف الفرس التي ستُقِلها إلى بيت زوجها، فهي فرس حلبية تصطف حولها الخيول التي شاركت في الزفة حتى بدت متعبة[2]:

قومي اركبي خديجة والفرس بباب الدار

هيّاه بخشيش اْبوكِ محطوط تحت اْلزنّار

*

قومي اركبي خديجة والفرس مــن حلَــب

واْحنا حطّينا فيــدك ألفــين ليــرة ذهــب

*

قومي اركبي خديجة والخيل تــنقّط عَــرَق

واْحْنا حطّينــا فيــدك ألفــين ليــرة ورق

ثم يطالبن والدها بتهيئة الفرس للركوب، وذلك بوضع السرج وشده [3]:

شــــدّ إلهـــا يـــا أبوهـــا شـــدّ إلهـــا   وإن طلبـــت مصـــاري عـــدّ إلهـــا

---

[1] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، 48

[2] لوباني، **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص139

[3] جاد الله، خليفة محمد: **الأدب الشعبي في فلسطين أغاني النساء أنموذجا**، ص20

شـــدّ إلهـــا يـــا أبوهـــا عـــالمهرة وإن طلبـــت مصـــاري بالعشْـــرة

شـــدّ إلهـــا يـــا أبوهـــا يـــا أميـــر وإن طلبـــت مصـــاري دنـــانير

وحين يتولى عمها أو خالها زمام فرسها، يحيط بها أقاربها، ويبدأون بالغناء، معبـرين بذلك عن فخرهم بأن ابنتهم تُزف على ظهر الخيل[1]:

طِلْعِـت فلانـــة مـــع شـــفق الليـــل واهلهـا حَطوهـا عـا ظَهْـرَ الخيـل

يـا ليـل هَـوِّد يـا صـباح الخيـر عـروس فـلان عـا ظْهـور الخيـل

وبناء على ما سبق، يلاحظ ما كان للفرس من مكانة ودور رئيس في مراسم العـرس الفلسطيني. وقد بقي يحتل الصدارة إلى أن ظهرت وسائل النقل الحديثة ومنها السـيارة، حيـث أصبحت العروس تفضلها على الفرس، وهذا ما تعبر عنه الأغنية، حيـث يـدور حـوار بـين العروس ومن حولها من النساء، حول رغبتها في ركوب الفرس أو السيارة، فتختار الأخيرة[2]:

بِـدِّكْ تَكْسِـي ولّـا فـرس تركبـي بـدّي تكسـي وأهلـي معـي تنتخـي

بِـدِّكْ تكسـي ولّـا فـرس مكحولـة بـدّي تكسـي وتبـاري الحمولِـةْ

بـدِّكْ تكسـي والا فـرس يـا نشـميّة بـدّي تكسـي وتبـاري الكليّـة

ومع ذلك، مازالت بعض القرى الفلسطينية، تحفظ للفرس مكانته، وترفض التخلي عنـه خاصة فيما يتعلق بزفة العريس.

وتفصل لنا إحدى الأغاني، مقارنة جميلة بين الفرس والسيارة، من خلال الفارس/الخيّال بسرجه الذهبي، الياقوتي، الفضي، الحريري...أولا، ثم من خلال السائق/الشوفير في ترمبيلـه[3] ذي العجل الزبيب، التفاح، الأجاص، الليمون...ثانيا[4].

مـن بـين البيـوت شـوقي مـرق خيّـال مـن بـين البيـوت

[1] جاد الله، خليفة محمد: **الأدب الشعبي في فلسطين أغاني النساء أنموذجا**، ص247

[2] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص16

[3] الترمبيل: السيارة

[4] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص17-18

والســــرج يـــاقوت   والمرشـــــحة فضـــــة   والســــرج يـــاقوت

*

مـــن بـــين العـــرب   شـــوقي مـــرق خيّـــال   مـــن بـــين العـــرب

والســــرج ذهـــــب   المرشـــــحة فضـــــة   والســــرج ذهـــــب

*

مـــن بـــين الحـــريم   شـــوقي مـــرق خيّـــال   مـــن بـــين الحـــريم

والســــرج حريـــــر   والمرشـــــحة فضـــــة   والســــرج حريـــــر

*

مـــن بـــين الرجـــال   شـــوقي مـــرق خيـــال   مـــن بـــين الرجـــال

والســــرج مرجـــان   والمرشـــــحة فضـــــة   والســــرج مرجـــان

وعلى الإيقاع اللحني نفسه، تستمر الأغنية، مع دخول البديل للفرس:

وعجالـــــه زبيـــــب   ترمبيلـــــك يـــا شـــوقي   وعجالـــــه زبيـــــب

تركّـــــب الحبيـــــب   ســــــايق عليـــــك الله   تركّـــــب الحبيـــــب

*

وعجالـــــه تفـــــاح   ترمبيلـــــك يـــا شـــوقي   وعجالـــــه تفـــــاح

تركّـــــب المـــــلاح   ســــــايق عليـــــك الله   تركّـــــب المـــــلاح

*

وعجالـــــه نجـــــاص   ترمبيلـــــك يـــا شـــوقي   وعجالـــــه نجـــــاص

تركّـــــب الرقّـــــاص   ســــــايق عليـــــك الله   تركّـــــب الرقّـــــاص

*

عجالـــــه ليمـــــون   ترمبيلـــــك يـــا شـــوقي   عجالـــــه ليمـــــون

تركّـــــب المزيـــــون   ســــــايق عليـــــك الله   تركـــــب المزيـــــون

إن هذه الأغنية النسائية ذات أهمية خاصة؛ فهي تراوح بين القديم والجديد في ابتهاج شديد يعكس ما طرأ من تغيير على طرق نقل العروس.

ب. الفرس في البكائيات

وكما واكب الفرس الأغنية الشعبية في الأفراح، كذلك الأمر فيما يتعلق بأغاني الندب والبكاء، إذ كانت الإشارة إليه واضحة، حيث استعان به الفلسطيني في نشر نبأ وفاة أحدهم في القرى المجاورة، وقد أطلق على الشخص الذي كان يمتطي صهوة هذا الفرس لقب الساعي أو الخيال، وهذا ما يظهر في الأغنية، إذ تبدو النسوة في حالة ترقب وخوف حين تطل خيل الأمارة[1]:

ليش يا خيل الأمارة عابْرات

في دارك يا سالم طاب لنا المَباتْ

ليش يا خيل الأمارة في السَّهِل

على ولاد العمّ والا عالأهل

ليش يا خيل الأمارة في الطريق

في دارك يا سالم طاب لنا العليق

وتحضر الفرس أيضا، في حديثهم عن الميت وذكر مناقبه، فكما هو الحال بالنسبة لأهل الفقيد تحن الفرس لفارسها الذي ترجل عنها وتركها وحيدة، تعاني مرارة الهوان والمذلة بعد رحيل من كان يهتم بها ويرعاها[2]:

مُهْرتَك يا شَب هذا طَيَّحوها عالعَرَب

قَيَّدوها بِقيد رُمّه من بعد قِيد الذَّهَب

مُهْرتَك يا شَب سالم نَزَّلوها عالعَبيد

[1] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص305

[2] المرجع السابق، ص287

قَيَّـــــــــدوها بقيـــــــــــد رُمَّـــــــــه مـــــــن بَعْـــــد قِيـــــد الحديـــــــد

وفي أغنية أخرى تتضح معالم الفرس المُخاطَبة، فهي حمراء أصـــيلة ووفيـــة لـــذكرى صاحبها[1]:

حمـــرا يـــا أصـــيلة ويـــن رحتـــي فيـــه ببـــاب الســـرايا بعلمـــي تركتيـــه

حمـــــرا يـــــا أصـــــيلة ويـــــن ركابـــك ببـــاب الســـرايا علقـــوا لجامـــك

حمـــرا مـــن دبيـــب النمـــل جظيتـــي علـــى فـــراقهم لـــيش انـــت ذليتـــي

مالـــك يـــا حمـــرا كبيتـــي فـــي الســـهل صـــايبك مســـمار وإلا علـــى الأهـــل

مالـــك يـــا حمـــرا كبيتـــي فـــي المـــراح صـــايبك مســـمار والا الشـــيخ راح

وهذه الأبيات هي جزء من الأغنية الشعبية الوطنية " طلت البارودة"، التي تُغنى تعبيرا عن الحزن عند وفاة عزيز على العائلة أو على الشعب الفلسطيني كوفاة شخصـــية وطنيـــة أو قومية أو استشهاد أحدهم على أيدي قوات الاحتلال.

وقد يتساءل المرء عن السبب الذي من أجله استخدمت الفرس الحمـــرا للتعبيـــر عـــن الحزن، مع أنها، كما مرّ سابقا، كانت إحدى أهم مقومات العرس الفلسطيني.

وللإجابة عن ذلك، لا بد من العودة إلى دلالات اللون الأحمر في المـــوروث الإنســـاني القديم؛ إذ تعددت دلالاته في التراث الشعبي وتباينت مفهوماته حتى غدا لونا مميزا. " وقد جـــاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح، وبعضها يثيـــر الألـــم والانقباض. فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر، ومن ارتباطـــه بلون النار مادة الشيطان استعمل للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، ومن ارتباطـــه بالـــذهب والياقوت والورد استعمل رمزا للجمال"[2].

---

[1] ربيع: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص111

[2] عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص211-112

ورَبْط اللون الأحمر بالدم له جانبان متناقضان، الأول يُظهر البهجة والسرور لأن حيـــاة الإنسان قائمة مادام هذا السائل يجري في جسده، أما الجانب الثاني فيُظهر الحزن لأنه يـــذكرنا بالموت، فهو في الديانات الغربية رمز للاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين[1].

وربما كان المقصود بالحمرا هنا، هي الحميراء "فرس أبو زيد الهلالي"، وهـــي فـــرس مشهورة، لعبت دورا مرموقا في السيرة الهلالية، الأمر الذي جعل البكائيـــات فـــي الفلوكلـــور العربي بشكل عام، تخاطب هذه الفرس، وترثي حالها، بعد أن أصـــبحت تميـــل ناحيـــة ريـــاح الندابات[2]:

كنـــــك يـــــا حمـــــرة بتصـــــيري

تحـــــــت ريـــــــح النـــــــدابات

غـــــاب اللـــــي يعـــــرف مقـــــدارك

يملالـــــــك لحـــــــد عبـــــــارك

وإن خسّـــــت م القمـــــح يزيـــــدك

لقد غاب عن الحمرة فارسها بعد أن طواه الموت. ذلك الفـــارس الـــذي كـــان يعرفهـــا ويقدرها حق قدرها.... فيملأ مربطها حتى حافته، وإن خس الكيل من التـــبن والشـــعير، زاده قمحا.

وقد يكون الفرس رمزا للشخص المتوفى، فموت الرئيس جمال عبد الناصر، ترك أثـــرا كبير وجرحا عميقا في حياة الفلسطيني، فهو جواد قضيته وفارسها في آن واحد. وهذا ما عبرت عنه النسوة في قرية ترمسعيا في نعي هذا القائد الخالد، فخرجن يندبنه قائلات[3]:

كُرســـي الـــرئيس جَلّلـــوه بســـواد   بعـــد الـــرئيس مـــا حِليلـــي جـــواد

[1] عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**، ص164

[2] عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص116

[3] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص113

وفي ندب وجيه من وجهاء القوم، تحث النسوة الشبان على احترام الخيل، فــلا يجــوز إهانتها أو ضربها وهي المكرمة عند صاحبها[1]:

مــــــــــاتِنْهَروا عالخيـــــــــــل

بـــــــــــالمِطْرَق الســــــــــــرّيس[2]

رَوِّح يـــــــــا أبــــــــو هـــــــــذا

هَـــــــــي عُقبَـــــــك شـــــــاوِيش

*

مــــــــا تنهــــــــروا عالخيـــــــــل

بـــــــــــالمطرق الـــــــــــــوردي

رَوّح يـــــــــا أبــــــــو هـــــــــذا

وهَـــــــــيْ عُقبـــــــك جنـــــــــدي

أما من مات مقتولا، فالثأر واجب وضرورة شرعية، يتكفل به أبناء عشيرته، لذا نراهم في بكائياتهم على القتيل، يطالبون بإبقاء الخيل على أهبة الاستعداد، إلى أن يُؤخذ بالثأر لترتــاح بعدها روح المقتول[3]:

لا تـــــــــذلّوا يـــــــا حمولــــــــة علقــــــوا عالخيــــــل عســـــــل

واقتلــــــــــوا قتّـــــــال فــــــلان لأنّــــــو للســـــــما يصـــــــل

ويبدو أن البكائية السابقة اعتمدت في مضمونها على معتقد شعبي، كــان ســائدا عنــد القرويين في فلسطين، وهو أن " لكل قتيل هامة، يسمونها "خيّالة"، تخرج فــي المســاء، وتبــدأ تصيح بصوت عالٍ، مرددة كل الكلمات التي نطقها القتيل ساعة القتل"[4].

---

[1] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص285

[2] المطرق هو العود الخشبي الذي يستعمل في تطويع الحيوان وفي أشياء أخرى كثيرة، والسريس هو نبات بري ينتشر في الكروم وله رائحة مميزة خشنة قوية.

[3] ينظر، عودة، عمر ماهر: **البكائيات في الأدب الشعبي**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نــابلس، 2008، ص145

[4] الباش، حسن وآخرون: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص148

ولا بد من الإشارة، إلى أن هذا المعتقد الشعبي، تمتد أصوله إلى العصر الجاهلي، حيث اعتقد عرب الجاهلية ب "الهامة" و "الصدى" وقالوا: " هو طير يخرج من رأس القتيـل يصـيح ويزق يطلب الثأر، فلا يهدأ ولا يسكن ولا تطمئن الروح حتى تُسقى من دم القاتل"[1].

ج. الفرس في أغاني الأطفال

لم يكن الطفل الفلسطيني بمعزل عما يدور داخل وسطه الاجتماعي، وهو يعيش حياتـه في مجتمع مغلق نوعا ما، بل كان بمثابة مرآة يعكس ببراءته ما حوله عـن طريـق الأغـاني البسيطة التي كان ينسجها أحيانا داخل دائرة ألعابه.

فالطفل مثلا، يشاهد الفرسان في مضمار السباق فيتتبع حركات الفرس وطريقة جريـه، ليقلد ذلك كله في لعبة " طاق طاق طاقية"[2]، والتي يستوحيها من فكرة السباق الذي يكون علـى شكل دائرة، فيأخذ الطفل بالجري حولها ومن معه يغنون الأغنية المشهورة:

طـــاق طـــاق طاقيـــة

شـــباكين بعليِّـــة

رن رن يـــا جـــرس

حـــوِّل واركـــب عـــالفرس..

كما وتعتمد هذه اللعبة على السرعة، فالفائز هو من يصل أولا إلى المكان الفارغ بعد أن يكون قد أنهى الجري حول الدائرة، وربما يكون الجرس هنا معادلا موضوعيا لصـافرة البـدء التي تكون في سباقات الخيل.

وربما قلد الطفل الصوت الصادر عن الفرس أثناء جريانه، وذلك في صـوت صـفقات الأيادي المرافقة للعبة ينشدون فيها كلمات تعبر عن موروث فكري قيم، إذ يقولون:

---

[1] سويلم، أنور: **الاستسقاء في الشعر الجاهلي**،مجلة مؤتة للبحوث، ع1، مج1، 1986، ص87

[2] في هذه اللعبة يجلس الأطفال على شكل دائرة، ويدور حولهم من يحمل المحرمة، ويضعها خلف أحد الفتية الجالسـين، وعلى الفتى الذي وضعت خلفه المحرمة أن يطارد واضعها حتى يلمسه أو أن يجلس مكانه في الحلقة الدائريـة، بعـد أن يكونا قد أنهيا الالتفاف حول الدائرة لمرة واحدة أو أكثر، وهكذا.

عمـــــــــــــي اســـــــــــــكندر

أعطينـــــــــــــي حصـــــــــــانك

أركـــــــــــب وأســـــــــــافر

ع بـــــــــــلاد اســـــــــــكندر..

تستعرض هذه الأغنية، حياة الإسكندر الأكبر، والذي اشتهر بلقب الإسكندر المقــدوني، وهو صاحب الشخصية البارزة في الأساطير والقصص والتاريخ اليوناني والعالمي تقريبا، فقــد استطاع برفقة حصانه الأسطوري "بوسيفالوس"، وهو يعني " رأس الثور"، أن يجوب مشـــارق الأرض ومغاربها غازيا البلاد وموسعا بذلك رقعة مملكته. وقد لازم هذا الحصان الإسكندر طيلة حياته وحمله في أغلب غزواته، وعندما نفق في نهاية المطاف بسبب تقدمـــه بالســـن، أطلـــق الإسكندر اسمه على إحدى المدائن التي أسسها، ألا وهي مدينة "بوسيفلا"، التي كانت واقعة شرق نهر السند"[1].

وبالإضافة إلى شخصية الإسكندر، فقد ظهرت في أغاني الأطفال شخصـــيات تاريخيـــة معروفة، اشتهرت بالفروسية، وتعلقت بفرسها، ومن هذه الشخصيات، أبو زيد الهلالـــي، الـــذي خاض مع فرسه الحمرة أشرس المعارك وأقواها.

وقد جسد الأطفال ما كان يقوم به هذا البطل على ظهر فرسه، في أغنية، كانوا يرددنوها وهم أمام صندوق الفرجة، وفيها يقولون:

أبـــــــو زيـــــــد، أبـــــــو ربَّـــــــا   راكـــــــب حمـــــــرا عُمَريَّـــــــا

بْإيـــــــدو حربـــــــة هنديـــــــة   يـــــــا حـــــــدّا مثـــــــل النيـــــــران

ومن الشخصيات التاريخية أيضا، فاطمة ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتـــي تظهر بمظهر الفارسة الشجاعة[2]:

---

[1] ينظر، الإسكندر الأكبر على الشبكة العنكبوتية /https://ar.wikipedia.org

[2] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص335

امشـــــــينا مشـــــــينا مشـــــــينا لاقانـــــــــــــا النبـــــــــــــي

فـــــــــتح لنـــــــــا البوابـــــــة وقلنـــــــــــا اقعـــــــــــدوا

فاطمـــــــــة بنـــــــــت النبـــــــــي شـــــــدي حصـــــانك واركبـــــي

إن مثل هذه الأغاني، رغم بساطتها إلا أنها تحمل دليلا واضحا على مدى تأثر الأطفال بما يسمعونه من حكايات وأساطير كانت متداولة في الوسط الشعبي الفلسطيني.

وفي واحدة من أغاني الأطفال الشعبية، والتي كانت منتشرة في قرى فلسطين، وخاصة قرى الجليل، نستشف ولع الأطفال ومعرفتهم بالخيول المستعملة في السباقات، والتي أطلق عليها لقب الخيول الرمّاحة، فهي معروفة بشدة العدو والجري، وعنها يتحدث الأطفال قائلين[1]:

دَقّ الكـــــــــوز بتفاحـــــــــــة جتْنـــــــا خيـــــول الرمَّاحـــــــة

رمّاحتَـــــك يـــــا ابـــــن الهنـــــدي والـــــــورِد منُّـــــو عنـــــــدي

ومن الأغاني التي تصنف ضمن قائمة أغاني الأطفال، تلك التي كانت تصدر عـــن الأم لمداعبة الطفل، وفيها ينعكس فرح الأم بالأبناء الذكور الذين سيصبحون رجالا، يحملون القلـــم " وهو رمز "للعلم والمعرفة" بيد، وباليد الأخرى يمسكون لجام المهرة، وفي ذلك رمز للشـــجاعة التي يحتاجها هؤلاء من أجل رد المعتدي، وحماية الأرض والعرض[2]:

هــــــــــــاي الديّـــــــــــــة

تحمـــــــــل قلـــــــــم ودْوَيِّـــــــة

وهـــــاي الإيـــــد تقـــــرا وتعيـــــد

وهــــــــــاي الأخــــــــــرى

تحمـــــــــل لجـــــــام المهـــــــرة

[1] لوباني: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص129

[2] سرحان: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج2، ص51

وحين يحبس المطر، يخرج الأطفال إلى الشوارع لطلب الغيث من الله، وذلك خوفا على الأبقار والخيول من أن تنفق[1]:

يـــــالله المطــــــر يــــــالله الســــــيل تــــــا نســــــقي البقـــــر والخيـــــل

إن خروج الأطفال وترديدهم مثل هذه الأغنية وأمثالها، استعطافا للخالق، يعيدنا إلى مـــا كان يحدث في المجتمع القبلي، حيث كانوا يخرجون مستنجدين إله المطر، وموضحين له بـــأن الأرض والفرس تنتظران نزول المطر وقد استسلمتا[2]:

أنـــــــــــــت دواء الجـــــــــــــروح

الأرض تنتظر مستســلمة مثــل الفــرس

وفي لعبة الأحاجي والألغاز، يقف الطفل السائل عن الأحجية، بعد أن يعجز رفيقه عـــن الإجابة، يقف مفتخرا بنفسه وبمعرفته للجواب، فيشبه نفسه بفارس يركب حصانا أدهم، في حين يسخر من رفيقه فيصوره كمن يركب قطا يهوي به إلى قاع الواد[3]:

أطْلَعْتَـــــــكْ دَرَجـــــــي دَرَجـــــــي وابـــــن عمـــــك بـــــو فَرَجـــــي[4]

أنـــــا اركـــــب لِحْصـــــان لِـــــدْهَم إللِّـــــي نَطَّـــــاتو ابْعـــــاد ابْعـــــاد

وِانـــــتْ تِرْكَـــــب قْـــــطِّ امْـــــدَوِّدْ إيدَحْـــــدِلْ بِـــــكْ فـــــي قـــــاع الـــــواد

د. الفرس في أغاني الحماسة

يقصد بأغاني الحماسة، تلك التي كانت كلماتها تهدف إلى التشجيع وشحذ الهمم، كما هو الحال في الأغاني الوطنية، وأغاني العمل، وحتى في الأغاني المرافقة لزفة العريس. وتعد أغنية "يا واوا – الشوباش"، والتي يمكن أن نطلق عليها زغرودة الرجال، من أشهر أغاني الحماســة، حيث تغنى في جميع المناسبات المذكورة سابقا، كما أنها توضح افتخار الفلســطيني بامتلاكــه

---

[1] علوش، **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص224

[2] شبحة، بداك: **الوظيفة السوسيولوجية للسحر عبر الأسطورة القبائلية**، ص71

[3] البرغوثي، عبد اللطيف: **الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن**، ص246

[4] أطلعتك درجة درجة:أي أدخلتك للموضوع تدريجيا، ابن عمك: المقصود صاحب الحزورة، بو فرجي: أي لديه الفــرج والجواب الصحيح

لخيول عربية أصيلة. فالرجال في هذه الأغنية يأخذون بتعداد صفات ومناقب ما يملكون من تلك الخيول[1]:

حمـــــــرا مثـــــــل دم الرَّعـــــــاف　　　واجلالهـــــا مـــــن قَطِيفِـــــه

خيّالهـــــا أبـــــو فــــلان يـــــا واو　　　يشـــــبه الزَّنـــــاتي خَلِيفِـــــه

*

والحُمْـــــر نـــــورات الخيـــــل　　　والبـــــيض هِـــــنّ السَّـــــلايل

والـــــدُّهم دَوّاَســـــةِ الليـــــل　　　يـــــا مـــــدَوّرين النّفايـــــل

وتستمر الأغنية مؤكدة أن الفلسطيني يرى بإجادته فن ركوب الخيل في الميدان، فخـــرا أكثر من كونه واحدا من الخواجات أو التجار[2]:

لا تحســـــبونا خواجـــــات　　　ولا نتـــــاجر بالمراكـــــب

يـــــا صـــــغيرنا ضَـــــرَّاب رصـــــاص　　　وكبيرنـــــا علـــــى الخيـــــل راكـــــب

وقد يسمع هذان الشطران في زفة العريس، وذلك على لسان أقاربه وأصـــدقائه الـــذين يفتخرون بقوتهم[3]:

عريســـــنا لا تهكـــــل هـــــم　　　واحنـــــا جينـــــا لـــــك فـــــوازع

صـــــغيرنا ضـــــريب البـــــارود　　　وكبيرنـــــا ع الخيـــــل راكـــــب

وبوضوح أكثر، يظهر تمجيد الفخر وحب الوطن والفروسية، في أغنية " يا طَلَّتْ خيلنا"، وهي أغننية وطنية فلسطينية بامتياز، تبرز مشهدا عظيما،يمكن أن تتخيل فيه الخيول العربيـــة تطل من جميع أنحاء فلسطين[4]:

يـــا طَلَّـــت خيلنـــا مـــن وادي ريشـــة　　　عوايـــد رجالنـــا تنصـــب عريشـــة

---

[1] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص174

[2] المرجع السابق، ص174-175

[3] عرنيطة، يسرى: **الفنون الشعبية في فلسطين**، ص150

[4] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص322

يـــا طلَّـــت خيلنـــا هالنصـــراوية   تسـلم يـا شـعبنا يـا بـو الوطنيـة

يـــا طلَّـــت خيلنـــا مـــن ســـهل عكـــا   وسنان العـدا مـن الخـوف مصـطكة

يـــا طلَّـــت خيلنـــا مـــن تـــلا حيفـــا   عوايـــد رجالهـــا تـــرقص عَ كيفـــا

وفي أغنية وطنية من أغاني العتابا، يرتسم مشهد يُصر فيه القائل على اعـتلاء ظهـر الحمرا وإعلان النفير العام بين شباب العرب، لاسترجاع البلاد المسلوبة[1]:

أنـــا لاركَـــب الحمـــرا ونـــادي   شـــباب العـــرب عالهَيْجـــا لانـــادي

شـــباب العـــرب رُدّو لِلْـــبلادي   تُـــراث جـــدودنا وأهْـــل الأدب

وللحث على القتال والأخذ بالثأر، توضح عذبا، وهي بطلة قصة يرويها أحد الحدائين في بلدة بيت ساحور، أن الفرس بالاضافة إلى السيف والرمح والدرع، هي من أهم مقومات القتال، لذا تلجأ عذبا إلى إعطاء فرس والدها لجلّال، وهو بطل الحكاية، وتحثه على اللحاق بمن أغـار على قومها ونهب حلالهم[2]:

وهـــذا ســـيف لبويـــا   وإن كان بتـذبح يـا جلّـال   يـا حلالـي يـا مـالي

وهـــذا رمـــح لبويـــا   وإن كان بتطعن يـا جـلال   يـا حلالـي يـا مـالي

وهـــذا درع لبويـــا   وإن كان بتلبس يـا جـلال   يـا حلالـي يـا مـالي

وهـــذا مهـــر لبويـــا   وإن كان بتركب يـا جـلال   يـا حلالـي يـا مـالي

وفي الوقت الذي ولّى فيه زمن السيف والرمح والدرع ولم يعد أحد يتغنى بها، فقد حلت مكانها البندقية، إلا أن الفرس بقي حتى وقت طويل محافظا على مكانته، وهذا ما يبدو واضـحا في بعض الأغاني التي تغنت بالخيل والبندقية[3]:

يـــا بـــو الجديلـــة يـــا بـــو الجديلـــة   يا محلا الركب علـى الخيـل الأصـيلة

***

[1] البرغوثي، عبد اللطيف: **ديوان العتابا الفلسطينية**، ص224

[2] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص306

[3] حمدان: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص29

يــا بــو الخيــر شــد المهــرة العاديــة يــا بــو الخيــل نــاولني البندقيــة

أن يكنى الشخص مرة بأبي الخير وأخرى بأبي الخيل، ما هو إلا دلالة واضــحة علــى مدى معرفة الفلسطيني بأهمية الخيل ومكانتها في حياته، فأينما وجد الخيل حلّ الخير، وهذا مــا عبر عنه رسولنا الكريم بقوله: "**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**"[1].

وفي المحن يُطالب الشباب بتلبية النداء، وذلك بأن يشدوا على الأحصنة ويــردوا كيــد المعتدي، وهذا ما عبرت عنه الأغنية[2]:

يــــا ويلــــي ويلــــي هوشــــة فــــي فبلــــدنا هوشــــة

يــــا فــــلان يــــا أبــــو الشوشــــة نــــادي عَ ربعــــك نــــادي

يــــا فــــلان عــــدّل عْقالــــك شــــباب العِــــز قــــدامك

شــــباب شِــــدّوا عَ المهــــرة شــــباب العِــــز فــــي الحَظْــــرة

شــــباب شــــدوا عَ الحصــــان شــــباب العــــز فــــي الميــــدان

ولمدح شيخ الحمولة، الذي كان يترأس عملية عقد البناء، يلجأ العمال إلى ذكر مناقبــه، وتشبيه موكبه بموكب الملك الذي تحرسه الفرسان وتحيط به الخيول من كل جانب[3]:

أبــــو فــــلان يــــا رب خلّيــــه كثــــر عليــــه مــــن النعــــايم

ميتــــين حمــــرا تباريــــه والعــــز والنــــاموس دايــــم

ولحث الرجال وتشجيعهم على بناء مدرسة، تُظهر الأغنية صورة للنشامى وقــد أتــوا ليلبوا النداء في المساعدة على بناء هذا الصرح العلمي[4]:

نشــــامى عَ ظهــــور الخيــــل أهــــل البعنــــة ملاقيهــــا

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**، حديث رقم (4955)

[2] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص70

[3] المرجع السابق، ص125

[4] حمزة، حسين: **الطائر المحكي دراسة في الشعر الشعبي**، ص85

يـــــا متــــــريّح شـــــد الحيـــــل   المدرســــــة تــــــا نبنيهــــــا

وفي موسم الحصاد يناشد الدارس فرسه ويخاطبها بكلمات محاولا بث الحماســة فيهــا، فهو صاحبها الوفي الذي لن يتخلى عنها أبدا[1]:

أيـــــا حمــــــرا يـــــا لوّاحـــــة   لونــــــك لـــــــون التفاحـــــــة

أيـــــا حمـــــرا لـــــوحيني لـــــوح   واربعــــا مــــا جـــرِّن لـــــوح[2]

ايـــــا حمــــــرا مــــدّي باعــــك   يلعَـــــن أبــــو اللــــي باعــــك

باعِــــــك واشــــــترى بَغْلِــــــه   والبَغلـــــــه زَرْزُورِيِّــــــــه[3]

توكِل مِدٌّ أو رُبْعِيِّه[4]

يـــــا حمــــــرا لا تِتْهَــــــولي   وانـــــا دارسِـــــك لَـــــوَّلي[5]

من عامِ العامِ الأوْلِّي

وفي زفة العريس تكثر أغاني الحماسة، حيث يكون لذكر الخيل في تلك الأغــاني أثــر كبير وواضح في نفوس المستمعين، إذ يحرص الشباب على رسم صورة تبين مدى جســارتهم وهم يعتلون ظهور الخيل في ساحة الميدان:

جينــــاك يـــــا بــــاب العــــامود   وســــــلاحنا كلــــــه بــــــارود

جينــــاك يـــــا بــــاب الخليـــــل   وســــــلاحنا كلــــــه مَــــــرْتين

لمّـــــا اعتلينـــــا ظهــــور الخيــــل   زيِّ الشَّـــــنابر فــــي الهـــوى[6]

---

[1] البرغوثي، عبد اللطيف: **الأغاني العربية والشعبية في فلسطين والأردن**، ص254- 255

[2] لوحيني لوح: أي احذفيني حذفا، لوح: يستخدم في دراسة الحبوب

[3] بغله زوزوريه: صغيرة الحجم ملمومة

[4] الربعية: ربع صاع

[5] لا تتهولي: لا تجعلي الأمر يفزعك، الدارس: الذي يدرس المحاصيل

[6] مرتين: نوع من البنادق الإنجليزية، الشنابر: طرحة حمراء ترتديها العروس.

هـ. الفرس والمرأة في الأغنية الشعبية

تبين سابقا أن العلاقة التي تجمع الفرس والمرأة والتي تظهر في الأدب الشعبي خاصة والفصيح عامة، هي علاقة قوية ومتينة، بحيث تتحد صورتهما معا في جوانب كثيرة، فلا تكاد تعرف من منهما المقصود. وهذا ما يبدو واضحا في الأغنية الشعبية، فالعروس توصف لجمالها، بالمهرة الأصيلة[1]:

يا مهيرتي يا محجلة وانت عزيزة مدللة

والغرة بيضاء واعتلت من فوق عيون مكحلة

إن من يستمع لهذه الأغنية دون أن يكون على علم مسبق بمن قيلت، أو بالمناسبة التي تغنى فيها، لا بد وأن يُشكل عليه الأمر، فيظن أن القائل يصف مهرته الأصيلة، فلا قرين لفظي يدل على أن المقصود هي العروس.

وتؤكد النسوة، في إحدى المهاهاة عزّ العروس وجاهها، فهي كما الخيل الأصيلة غالية على قلوب أصحابها[2]:

هيْه يا مِيلي على الجَنْبين مَنْتي مايلِه

هيْه يا نخلة بين الجبال العالية

هيْه يا ما انتِ من الشّينات برخص حقّكي

هيْه والا من الخيول الأصايل غاليه

وقد ترمز المهرة، كما يقول نمر سرحان، إلى ابنة العم، كما هو الحال في أغنية " يا رب تكبر مهرتي"[3]:

يا رب تكبر مهرتي تكبر وأنا خيّالها

---

[1] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشبي الفلسطيني**، ص28

[2] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص270- 271

[3] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطينية**، ج1، ص231

وفي أغنية أخرى، يظهر بوضوح، أن المقصود بالفرس هي المرأة، فهي في دلالها تشبه المهرة التي ينصب المحبوب نفسه خيالا لها[1]:

علـــــى دلالِـــــك علــــــى دلالــــــك وانــــت المهيـــــرة وأنـــــا خيّالـــــك

وتؤكد أغنية أخرى، كون المخاطبة هي المحبوبة لا الفرس، وذلك حين يطلب المحبوب منها الوصال، مؤكدا استعداده لمحاربة عشيرتها من أجل الفوز بها[2]:

بِحْلــــــــى لـــــــــي وِصـــــــــالك وأنـــــــــــا خيّالـــــــــــــك

لـــــــــو كـــــــــانوا رجالـــــــــك ألفـــــــــــين وميَّـــــــــــة

وربما بدأت الأغنية بالحديث عن المهرة، لكن سرعان ما يكتشف السامع أن هذه المهرة ما هي إلا المحبوبة، وذلك ضمن قرائن لفظية، ففي أغنية من أغاني الجفرا، يســتحث الخيّــال مهرته ويطلب منها أن تسير فالشمس في طريقها نحو المغيب، لكنه في نهاية الأمر يطلب منها التكلم معه، وهذا ما يجعل السامع يعيد النظر في حقيقة تلك المهرة[3]:

يـــا شـــوفةٍ شُـــفْتها بـــين كـــروم رام الله

غابت عليَّ الشـــمس يـــا مُهرتـــي يـــالله

....

جفـــرا يـــا هـــالربع بـــين كـــروم التـــينِ

غابت عليّ الشمس يـــا مهرتـــي حـــاكيني

ولا بد من القول، إن تماهي المرأة مع الفرس في الأغنية، كان من الضـــرورات التـــي تفرضها الظروف، فحرصا على سمعة المرأة، ولأن أعراف المجتمع تحرم التغزل الصريح بها أو حتى ذكر اسمها، عمد المُحب إلى التخفي وراء فرسه، فبدا الأمر وكأنه يتغزل بتلك الفرس.

---

[1] عبيد، يوسف: **صورة من التراث الشعبي في عرابة**، ط1، دار الصفاء للنشر، عمان، 1999، ص197

[2] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص33

[3] عزازي، صباح السيد: **قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية**، ط1، دار الجليل، عمان، 1989، ص80- 81

ومكانة الفرس في حياة الرجل توازي مكانة الزوج في حياة المرأة، وهذا ما يظهر واضحا في الحوار الذي يجري بين فتاة وشاب.فحين تدعو الفتاة على حصانه وتتمنى له الموت، يقابلها الشاب بالدعاء على زوجها[1]:

يمّا مْوِيْل الهوى   يمّا مْوليّا

يَبْلى حْصانَك ظَفَر[2]   يلِّي عَكَرْت الميَّة

يبْلى حصاني ظَفَر   إنْ ما كَسَّرِت اجرارِك

*

وِانْتَ تِكْسِر اْجراري   يا ربِّ يْموت اْحْصانك

وتْظلَّكْ طول اْلعُمُر   ماشي على رِجْليَّا

*

وْأنا يموت اْحصاني   وِأنتِ يْموتْ اْجْويزِك

ثانياً: الفرس في الأقوال والأمثال

حمل الأدب الشعبي الفلسطيني، مجموعة من الأمثال التي تدل على مكانة الخيل في حياة الإنسان اليومية، فبعضها مستمد من التراث العربي، ظل عالقا على لسان الفلسطيني، كما في المثل القائل: "لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك"، وبعضها الآخر هو من وحي الحياة التي عاشها الفلسطيني برفقة فرسه، فما كان منه إلا أن أعطاه صفات آدمية، نظرا لما يتمتع به من جمال وذكاء، فجمال الفرس يعادل جمال العروس، إذ يُقال في هذا السياق:"**فلان عنده فرس زي العروس**"[3]. كما أن الفرس فيه من الذكاء ما يجعله قادرا عى تقليد الأفعال التي يقوم بها الإنسان، وفي ذلك يقولون:"**الخيل لو علمتها الصلاة لصلت**"[4]. وفي المقابل، أُطلق على

---

[1] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص251

[2] الظفر: مرض يصيب أنف الحصان

[3] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص5

[4] حسونه: **التراث الشعبي الفلسطيني**، ص139

الإنسان الكثير من صفات الخيل، فيقال للرجل الجريء: "**فلان حصان**" كما يوصف الرجل الذي تخلى عن طبعه الجيد ب "**كديش**"[1]، وتوصف المرأة ذات الأخلاق العالية بالفرس الأصيلة.

وقبل الخوض في الحديث عن صورة الفرس في المثل الشعبي لابد من الإجابة عن التساؤل التالي: ما الفرق في الصفات بين الفرس الأصيلة والكديش، بحيث تلجأ الأمثال إلى تشبيه الفرس بكل ما هو إيجابي، في حين تُلصق الصفات السلبية بالكديش؟.

إن عراقة النسب ونقاءه يحددان صفات الفرس الإيجابية، فالأصيلة تعرف بسرعتها وقدرتها على الجريان لمسافات طويلة دون أن تشعر بالتعب، لذا فضلها العربي على غيرها في السباقات والحروب، كما أنها تتمتع بصفة الوفاء لصاحبها والتضحية في سبيله، يضاف إلى ذلك ذكاؤها الملموس وفطنتها العالية. وجميع هذه الصفات تنتفي بالكديش، الأمر الذي يجعله يحتل مرتبة أقل من الفرس الأصيلة، لذا يستخدم في الأعمال المرهقة كجر العربات الثقيلة وأحيانا لإدارة المعاصر والفلاحة.

من هنا حثت الأمثال على رفع شأن الفرس، فقدمت إكرامها على إكرام الضيف، كما في قولهم: "**أكرم الفرس قبل الضيف**"[2].

ويمكن تقسيم الأمثال المتعلقة بالفرس، بناءً على ربطها بين الفرس وأمور أخرى، إلى قسمين: الأول يتناول الأمثال التي تربط الفرس بالمرأة، في حين يربط القسم الثاني بين الأخلاق السائدة في المجتمع، والصفات التي يتحلى بها الفرس والفارس.

1. الفرس والمرأة في الأقوال والأمثال

ظهرت العلاقة الوثيقة بين الفرس والمرأة، في المثل الشعبي الفلسطيني، من خلال الجمع بينهما في ملامح: الجمال، والطاعة، والأصالة.

[1] ينظر، سرحان: **موسوعة الفلوكلور الفلسطيني**، ج1، ص229

[2] حسونه: **التراث الشعبي الفلسطيني**، ص139

فشَعْر المرأة إذا بدا ناعما وغزيرا، شُبه بشعر ذيل الفرس، وقد انتشرت بين النساء في الوسط الفلسطيني، طريقة لتسريح الشعر عُرفت باسم "ذيل الحصان".

ومع ذلك فلا يجوز للمرأة التباهي بشعرها إلى حد الغرور، فلو أن الشعر فيه خير، لما كان مكانه الذنب، كما يقول المثل:" **الشعر لو فيه خير، ما طلع ع ذناب الخيل**"[1].

وكما أن الجمال لا يكتمل في الفرس وإن كانت عربية أصيلة، كـذلك الأمـر بالنسـبة للمرأة، فلا بد وأن يظهر شيء يفسد جمالها تماما كما يفسد "أبو ملعون"[2] جمال الخيل، وهذا مـا عبر عنه المثل القائل: " **كل كحيلهْ ومباريها أبو ملعون**"[3].

وفي المقابل شُبِّهتْ الفرس الجميلة بالفتاة يوم عرسها، إذ تكون في أبهى صـورة لهـا، فقيل:" **فلان عنده فرس مثل العروس**".

والنساء كما الخيل، يختلفن في طباعهن وأحسابهن وأنسابهن، فالأصيلة تلد نسلا طيبـا وكريما، أما التي دون ذلك فتنجب نسلا يتصف بصفاتها ويشبهها في كثير من المزايا والطباع. يقول المثل: "**النسوان سلايل زي سلايل الخيل**"[4].

ولقد ذهبت الأمثال إلى أبعد من ذلك، حين وضعت الفرس بمكانة المرأة من حيث كونها من الممتلكات الخاصة، والتي لا يجوز إعارتها أو إعطاؤها للغير مهما كانت الظروف. وفـي هذا يقول المثل: "**المَرَه والفرس والبارودة ما بتشحَّدوا**"[5].

كما أن الفرس والمرأة، تجتمعان في معتقد واحد، ساد في الوسط الشـعبي الفلسـطيني، وهو اعتبارهما من الأشياء التي كان الناس يتفاءلون بها أو يتشاءمون منها، فهم يقولون:" **المرأة والبيت والخيل يا خير يا شر**"[6] أو"**نواصي وعَتابْ وحوافر وكِْعاب**"[7].

---

[1] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص62

[2] أبو ملعون: مرض يصيب الخيل والبقر.

[3] أبو فرده، عايدة محمد: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط1، د.ن، عمان، 1995، ج1، ص162

[4] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية، طائفة من أمثالنا الشعبية**، ط1، د.م، 1997، ص29

[5] المرجع السابق، ص199

[6] عبيد، بدر الدين: **الأمثال الشعبية من أفواه البرية**، ط1، دار الينابيع، دمشق، 2009، ص56

[7] سرحان: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج1، ص307

وهذا المعتقد، في حقيقة الأمر، قديم يمتد بجذوره إلى الجاهلية، فقد ورد عن العرب أنهم كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بهذه الأشياء المذكورة، فعندما يسكنون بيتا جديدا يقومون بذبح ذبيحة عشاء لهذا البيت، ويضعون من دمها على عتبته؛ ظنا منهم أن ذلك يبعد الأذى عن ساكني البيت. وإذا حدث لأحدهم مكروه بعد أن يتزوج امرأة جديدة يقولون هذا من وجهها، ومن كعبها السيء. أما إذا تفاءلوا منها فإنهم يقولون: كعبها أخضر، وكذلك الحال عند شرائهم فرس جديدة[1].

وقد بقيت رواسب هذا المعتقد، بعد ظهور الإسلام، والدليل على ذلك، حديث نسب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم– يقول: "لا عدوى ولا طيرة، إنما الشؤم في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار"[2].

والدليل على بطلان هذا القول، ما رواه قتادة عن أبي حسان قال: دخل رجلان من بني عامر على عائشة، رضي الله عنها، فأخبراها أن أبا هريرة، رضي الله عنه، يحدث عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "الطيرة في الدار والمرأة والفرس". فغضبت، فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، وقالت: والذي نزّل الفرقان على محمد، ما قالها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قط، إنما قال: "كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك"[3]. وفي رواية قالت: لكن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان يقول: "**كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة**"[4]، ثم قرأت، رضي الله عنها، قوله تعالى: " مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ* فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ*"[5].

وهناك من يذهب إلى تفسير ذلك بقولهم إن: " شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يُغزَ عليه، وشؤم الدار جار السوء"[6].

---

[1] ينظر، زيادنة: **من الأمثال البدوية**، ص145

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح بخاري**، م4، ج7، حديث رقم (5772)

[3] ابن حنبل،أحمد: **المسند**، حديث رقم (26562)

[4] المصدر ، 2245/6

[5] الحديد، آية 22

[6] ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الأنباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري**، شرح محب الدين الخطيب، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1986، ج6، ص73

واللافت للنظر، أن هناك مثلا آخر يناقض ما سبق، ويُظهر مكانة الخيل في المجتمع الفلسطيني، باعتبارها ثالث أركان السعادة، إذ يقولون: "**السعادة بثلاثة، الدار والمرة المطيعة والفرس السريعة**"[1].

وكما يحرص الفلسطيني في اختيار فرسه بناء على صفات معينة، يجب أن تتحلى بها تلك الفرس، كذلك الأمر بالنسبة لاختياره للمرأة التي ستكون شريكة حياته، وأما لأطفاله.

والأصالة من أهم الصفات التي تشترك فيها المرأة مع الفرس، والتي يحرص الإنسان على أن تكون في زوجته وفرسه؛ لذا كانوا يضربون المثل بالفرس الأصيلة، ويشبهون بها المرأة الوفية، حسنة الطباع بقولهم:" **فلانة أصيلة زي الفرس الأصيلة**"[2].

فالأصالة في الفرس تمنعها من أن تبتعد عن الدرب الذي رسمه لها صاحبها، أو أن تتخذ لنفسها مربطا غير مربطها، وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة صاحبة الحسب والأصل، وهذا ما يعبر عنه المثل القائل:"**كحيلهْ وعاوَدتْ ع رباطها**"[3].

والمرأة صاحبة الأصل كالفرس الأصيلة، لا تجنح، وإن أوشكت على الجنوح فإن أصلها يردها، ومن هنا قيل: "**الأصيلة بردها أصلها**"[4].

وفي نظر الناس، تتشارك الفرس مع المرأة في الطاعة العمياء لمن يملكها، فهم إن أرادوا تذكير المرأة بواجبها باتباع زوجها في كل ما يريد ويرغب، يلجأون إلى تشبيهها بالفرس الأصيلة، التي تُعرف بطاعتها لفارسها وهو يقودها إلى الجهة التي يريد. إذ يقولون في ذلك: "**الفرس تتبع فارسها**"[5].

---

[1] حجازي،أحمد توفيق: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية مع باقة من الشعر والأغاني التراثية**،ط1، دار أسامة، عمان، 2002، ص20

[2] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص20.

[3] أبو فرده، عايدة محمد: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص157

[4] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص38

[5] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص29

ويضاف إلى ذلك، مجموعة أخرى من الأمثال التي تشترك في الحديث عن دور القيادة في البيت، وهو دور يجعل الزوجة تتطبع بطبائع زوجها، فيسهل قيادتها كما يسهل على الفارس قيادة فرسه. ومن تلك الأمثال نذكر:

- **الفرس بخيّالها مش بلوانها**[1]
- **المهرة من خيّالها**[2]
- **الفرس من الفارس**[3]
- **الخيل من خيّالها والْمَرَة من رجّالها**[4]

كما وتشترك الفرس مع المرأة في القدرة على معرفة واختبار من يمتلك أمرها، فتكون أدرى من غيرها به. وهذا ما تعبر عنه الأمثال التالية:

- **الفرس بتزور خيالها والمرا بتزور رجالها**[5]
- **الخيل أعلم بفرسانها**[6]
- **الفرس الزرقا بتعرف خيّالها**[7]
- **اللي مش فرسك توقعك**[8].

---

[1] حسونة، خليل إبراهيم: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني،** ط1، دار ابن خلدون، غزة، 2002، ص201

[2] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية،** ص21

[3] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني،** ص160

[4] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني،** ج1، ص231

[5] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني،** ص21

[6] حسونه، خليل: **التراث الشعبي الفلسطيني،** ص138

[7] وأحيانا يقولون "الكْحيلة" بدل "الزرقا". والمقصود الفرس العربي الأصيل، ويقال هذا المثل حينما توفق الفتاة مع شريك حياتها. جبر: **المثل الشعبي الفلسطيني،** ص73

[8] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني،** ص160

وكما أن الفرس لا يعيبها أن يكون جلالها[1] رثا وباليا، ما دامت لا تتخلف في ميادين السباق والطعان، كذلك الحال بالنسبة للمرأة، التي لا يهم مظهرها أمام أفعالها. وهذا ما عبر عنه المثل القائل: "**الفرس الأصيلة ما يعيبها جلالها**"[2].

ويحصر المثل الأمور التي تبث السعادة في قلب الرجل، فتجعله يعيش حياة هانئة، بعيدة عن المشاكل والمنغصات، في ثلاثة، إذ يقول: " **اللي بطوّل عمرك:أخذك بنات، وركبك صافنات، ومشيك ع ثبات**"[3].

واللافت للنظر هنا، أن صفتي الهدوء والانقياد تجتمعان في الأمور التي ذكرها المثل، كأسباب لإطالة العمر؛ فالزواج من فتاة غير محنكة بأمور الحياة، يُسهل على الزوج تسييرها على النحو الذي يريد، وكذلك الأمر بالنسبة للفرس، فمن المعلوم أن الخيل عند راحتها تكون قائمة لا تتحرك (وهذا هو المقصود بالصافنات)، مما يضفي عليها هالة من الصمت والهدوء والوقار. وليتمكن الإنسان من الوصول إلى برّ الأمان، أثناء سيره على طريق الحياة، لابد من أن تكون كما خطواته ثابتة ومتزنة.

والمرأة كالفرس تحتاج إلى قدر كبير من الاهتمام، لذا فمن لا يجد في نفسه القدرة على تحمل مسؤوليته تجاهها، عليه أن يبتعد عن طريقها، ويفسح المجال لمن يستحقها. وفي ذلك يقول المثل: "**اللي ما يقدر ع الحمرا وعليقها، يجنِّب عن طريقها**"[4]. فالمثل هنا، لا يذكر أي فرس وحسب، بل يجعل الحمراء محط الأنظار، وهي التي عرف عنها صلابتها في الميادين، فليس بمقدور أي كان امتطاء صهوتها. كما أن لونها الأحمر يحمل بعدا أسطوريا يجعل منها رمزا للحرب وما ينتج عنها من سفك للدماء، ففرس أبو زيد الهلالي، بطل الملحمة العربية المعروفة ب" تغريبة بني هلال"، اشتهرت بلقب "الحمراء" أو "الحميراء"[5]، وقد لعبت دورا مهما في غزواته.

---

[1] جُلُّ الدابة وجَلُها: الذي تُلْبَسه لتُصان به. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جلل).

[2] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص21

[3] حمدان: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص20

[4] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص103.

[5] ينظر، عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، ص256

وكتعويض عن غياب المرأة عن حياة الرجل، شدد المثل على ضرورة اقتناء فرس لمن لم يحالفه الحظ ويتزوج: "**اللي ماله عيله يقْناله كحيلة**"[1]. فالمرأة تعتبر دعامة من دعائم البيت، وكذلك الأمر بالنسبة للخيل، وهذا ما يعبر عنه الفلسطيني بقوله: " **الخيل مراس البيت**"[2].

والزواج من المرأة الأصيلة يستلزم دفع مهر لها، كذلك الأمر بالنسبة لمن يريد بيع فرسه، إذ يحق له أن يشترط أخذ الفيد (المهرة) الأولى والثانية بالإضافة إلى الثمن، أما المهور الذكور فهي من حق المشتري. وفي هذا يقول المثل: "**كحيلة (فرس أصيلة) ولك فيها مثاني (مهرتان)**"[3].

وكما أن الزواج من المرأة يعتبر نوعا من التقارب والقرابة، كذلك الأمر فيما يتعلق ببيع الخيول وشرائها، والذي يعرف بمصطلح "نسب الخيل"، فالرجل إذا باع رجلا آخر حصانا أو فرسا صار بينهما نوع من النسب، " ذلك لأن للبائع حقه في أن يحصل على مهر أو أكثر من الفرس التي يبيعها، وهكذا تنمو بين العائلتين اللتين تملكان الفرس وابنائها وبناتها نوع من العلاقة الحميمة"[4]، بل إن الفلسطيني يذهب إلى أبعد من ذلك حين يربط بين نسب الخيل والمصاهرة التي تتم بين العائلات، وهذا ما يبدو واضحا في الحوار الذي يجري بين أهل العريس والعروس عند الخطبة:

يقول الوجيه من أهل العريس:

-عندكم مهرة؟

فيسأل أهل العروس:

-مهرة توكل ابثمها والا ابإيدها؟

---

[1] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص21

[2] المرجع السابق، ص22

[3] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج1، ص231

[4] المرجع السابق، ج2،ص292

ويأتي الجواب:

-لا.. مهرة توكل بإيدها..[1]

وفي مثل آخر تُشبه العروس صراحة بالفرس الأصيلة، ووجه الشبه بينهما أن العروس في زفافها تكون بأبهى حللها، فتبدو مثل فرس أصيلة في جمالها وخلوها من العيوب، فهم يقولون في ذلك: "**مبرشمة مثل الفرس الأصيلة**".

وقد تتفوق الفرس على المرأة في بعض الصفات، بما في ذلك صفة الخصوبة، فالمرأة يمكن أن تكون عقيما، فاقدة القدرة على الإنجاب، في حين تمثل الفرس رمزا للخصوبة والتكاثر، وهذا ما أشار إليه المثل القائل: "**المرا بتخيب والفرس بتجيب**"[2]. بل إن من العادات البدوية في فلسطين، "أن تشرب النساء مما تبقى من ماء، شربت منه فرس أصيلة، على زعم أنهن سيحملن بهذه الكيفية أولادا أقوى في عودهم من مهر الفرس نفسها"[3].

وفي مثل آخر، تظهر المرأة والفرس، بصورة سلبية، تناقض الصورة الإيجابية التي سبق وأشرنا إليها. فها هو الوجه الآخر لكليهما، يطل علينا من خلال المثل الذي يطالبنا بعدم الوثوق بهما. ففي الوقت الذي تشكل فيه الفرس والمرأة دعائم البيت، نرى أن لديهما القدرة على ممارسة الخراب، وبث الدمار وإشعال نار الحرب:"**لا تأمن للمرة إذا صلت ولا للخيل إذا طلَّت**"[4]. وهذا يعيدنا إلى الصورتين المتناقضتين، اللتين رسمتهما الأساطير لعشتار، إلهة الحب والحرب؛ فتارة تظهر بوجه إيجابي يحمل من صفات الأمومة ما تجعلها ربة للحب والخصب والنماء، وطورا آخر؛ تطل ملوحة بسيفها، للدلالة على إعلان الحرب. وفي كلا الوجهين كان الفرس مرافقا لها.

---

[1] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج2، ص292

[2] حسونة، خليل: **التراث الشعبي الفلسطيني**، ص 139

[3] الخادم، سعد: **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص23

[4] عودة، أحمد: **الأمثال الشعبية الفلسطينية: قراءة معاصرة**، ط1، دار دجلة، عمان، 2011، ص82

وربما ظهر الوجهان معا في مثل واحد، حيث تتصف المرأة بالقوة وفيه تشبه بـــالمهرة الفتية القادرة على القيام بالأعمال دون الشعور بالتعب أو الإرهاق، لكن المثل هنا ينتقـــد تلـــك المرأة لأن قوتها لا تظهر إلا في خدمة غيرها، في حين تتكاسل عن القيام بأعمال منزلهـــا. إذ يقال في ذلك: "**عند السخرة زي المهرة وفي شغيلة باهت حيلي**"[1].

وفي مثل آخر مشابه لما سبق، ينتقض من يعالج قضاياه الكبيرة ويعجز عـــن معالجـــة مشاكله الصغيرة، بأن يشبه بمن يداوي خيل غيره في حين يعاني حصانه من الداء. "**يا مـــداوي الخيل من عند روسها داوي حصانك من عند زره زاغ**"[2].

وفي مثل آخر، يظهر صدى أسطورة الخطف المقدس، ولو بطريقة غير مباشرة؛ وذلك حين يصرح المثل القائل: "**ولد العم ينزل العروس عن الفرس**"[3]. فهو تصـــريح بحكـــم قبلـــي متوارث من العادات والتقاليد، يعطي الحق لابن عم الفتاة المقبلة على الـــزواج، والتـــي تمـــت خطبتها، أن يخطبها على خطبة غيره.

وتبالغ العادات والتقاليد البدوية في ظلمها للمرأة وإهدار حقوقها، حين تعطـــي الرجـــل مطلق الحرية في أن يتزوج من أي امرأة يريد، في حين يُحرم على المرأة الزواج من خـــارج قبيلتها، وذلك حفاظا على أصالة نسل القبيلة، تماما كما يحرص الفارس على أصالة الحصـــان الذي تلقح منه فرسه. وفي ذلك يقول المثل: " **الرجل حصان بيْهدِّ على كل رسن**".

2. الفرس وعلاقتها بالأخلاق والفروسية في الأقوال والأمثال

شكل امتلاك الفرس حدثا مهما في حياة الفلسطيني، يؤهله لإعلان فرحتـــه التـــي مـــن المتوقع أن يشاركه فيها الأقرباء والمحبون، حتى البعيدون، وقد صاغ في ذلك أمثالا تشير لمِثْل هذه الحال بقوله:" **مالك بتمشي وبيدك جرس، قال انسيب انسيبنا اشترى فرس**"[4].

---

[1] أبو فردة، عايدة: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ج1، ص136

[2] المرجع السابق، ص208

[3] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص23

[4] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص21

فالمثل هنا، وإن كان يذهب إلى انتقاد من يتباهى بأشياء لا يملكها، إلا أن لفظة الفرس فيه، يدخل في معناها، جميع الأشياء الثمينة، التي تدفع الأشخاص إلى التباهي بامتلاكها.

كما أن هناك مجموعة من الأمثال تتفق في مضمون واحد، وهو التبهاي بالأصل والحسب والنسب البعيد، فيستخدم لذلك الحصان كواحد من الكائنات التي ترمز للأصالة وجودة النسب، وفي ذلك نقد للشخص الذي ينكر أصله ويغطي عيوبه بالانتساب لغيره. وهذا ما يعبر عنه المثلان التاليان: "**سألوا البغل مين أبوك، قال: الحصان خالي**"[1]، "**كل واحد بقول خالي حصان، ومحدش بقول خالي حمار**"[2].

وللتعبير عن الصراع الطبقي داخل المجتمع الفلسطيني، وإظهار التمييز بين المستويات فيه، عمدت الأمثال إلى عقد مقارنة بين الفرس، الذي يملك مواصفات ومكانة مميزة في الفكر الشعبي، وبقية الحيوانات الأقل شأنا منه. فإن حدث وتدخل أحد الأشخاص المرذولين فيما لا يعنيه، يقال فيه المثل التالي: "**جابوا الخيل تا يحذوهن قام الفار مد رجله**"[3].

والشخص الذي لا أمل يرجى منه للتغّير نحو الأفضل، يشبهونه بالحمار الذي لا يمكن أن يكتسب شيئا من صفات الفرس الإيجابية، حتى وإن ترعرع معها. "**الحمار حمار لو بين الخيول رِبي**"[4]. بل إن جميع المحاولات في جعله يرتقي إلى المستوى الأفضل، لابد وأن تبوء بالفشل. وهذا ما عبر عنه المثل القائل: "**بحطك بين الخيل بلقاك بين القراد**"[5]، فشتان بين فرس أصيل يجوب الميادين، وحشرة صغيرة متطفلة.

وحين يفقد المجتمع بعض الأشياء الأصيلة، فإن الناس يلجأون إلى ما هو أقل جودة، وأدنى مستوى من ذلك، وهذا الأمر شبيه بمن يضع السروج على الكلاب كنوع من التعويض

---

[1] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص161
[2] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ص195
[3] المرجع السابق، ص21
[4] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص49
[5] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية**، ص21

عن وجود الفرس في منزله، فلا السروج نفعتها ولا هي قادرة على القيام بمهمة الفرس. وفي ذلك يقول المثل: "**من قلة الخيل شدّوا عالكلاب سروج**"[1].

وللفرس صفات استعارها المثل ليصور أصناف الرجال على أساسها، فالذكي هو الذي يفكر في المستقبل، لذا شبه بالخيل، فهي دائمة النظر إلى الأمام، لا تلتفت خلفها أبدا. وهذا ما عبر عنه المثل بقوله: "**الخيل الأصيلة بتطلع لقدام**"[2].

ووحده الشجاع قادر على ملاعبة الخيل بصرف النظر عن عمره، إذ يقال للصغير حين يفعل أكثر مما هو متوقع منه: " **قده قد الدبور، بلاعب الخيل في البور**"[3].

وتستخدم الأمثال لفظة "حصان" رمزا للقوة، ومن ذلك قولهم: "**حصانين ع مدود ما برتبطنش**"[4]، وفي هذا تعبير عن التنافس بين الأقوياء، من أجل التفرد بالسلطة والنفوذ.

ويضاف إلى ذلك، أن لفظة "خيل" كثيرا ما استخدمت في الأمثال، بهدف شحذ الهمم ونخوة الفرسان في الميادين؛ والتشجيع على رد كيد المعتدي، إذ يلجأ الناس إلى الأقوال والأمثال التي تحقق لهم هذا الهدف. ومن ذلك قولهم: "**الخيل يا أهل الخيل**"[5]، و"**الخيل يا دوّاسة الليل، يا مدورين النفايل**"[6]، و"**الخيل يا ركابها والعدا يا طُلّابها**"[7]. كما يُعتبر قولهم:"**ظهورها يا خيالة**"[8] بمثابة دعوة لركوب الخيل عند الغزو.

---

[1] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية**، ص21

[2] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ص191

[3] المرجع السابق، ص186

[4] المرجع السابق، ص190

[5] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص22

[6] يقصد بدواسة الخيل، أنهم يتجولون في الليل بلا خوف، أما النفايل فمعناها احتدام الأمور من خلال المواجهة وعدم الرضوخ. ينظر، جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص52

[7] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص22

[8] المرجع السابق، ص22

ولإعلان التحدي والعداوة يلجا الناس إلى استخدام الأقوال والأمثال التي تحمل رمز القوة والأنفة، ولفظة الخيل خير من مثل هذا الرمز يقال: "**إن كان الخيل قد الخيل تولد وتجيب خيل**"[1]، كما يقال: "**خيلنا تطرد خيلكم**"[2].

من هنا فعلى الفارس أن يستمر في تهيئة فرسه حتى تبقى دائما مستعدة للطراد، وهذا ما عبر عنه المثل بقوله: "**البارود يوم، والخيّالة دوم**"[3]. فالمعركة وإن طالت مدتها إلا أنها ستنتهي في آخر المطاف، لكن تضمير الفرس يجب أن يستمر على الدوام. لذا، فعلى المرء أن يكون حاضرا، ومجهزا نفسه لأي أمر قبل أن يقدم عليه؛ فالذي يريد الإغارة على قوم، عليه، وقبل أي شيء، أن يحذي فرسه، إذ يقولون في ذلك: "**احْذيها وغير**"[4].

وأما من يسعى إلى الاستعداد بعد فوات الأوان، فسيكون حاله كمن يحاول تهيئة فرسه في ساحة المعركة، فكلا الأمرين لن يأتي بنتيجة مرضية. وهذا ما عبر عنه المثل بقوله: "**العليق وقت الطراد ما بينفعش**"[5].

يضاف إلى ذلك، أن الأمثال كثيرا ما لجأت إلى إسقاط بعض من صفات الخيل على الانسان؛ فللتعبير عن مضار صفة الخجل التي تمنع صاحبها من الإقدام، يشبهه المثل بالفرس التي لم تعتد على الاختلاط، فتجفل عند سماع الأصوات وترتبك خوفا. فهم يقولون في مثل هذا الشخص: " **بيجفل مثل الخيل**"[6].

ولما كان الفرس رهن طوع فارسه، يقوده إلى الجهة التي يريدها، فإن أحسن سياسته وصل به إلى برّ الأمان، أما إن أساء معاملته فلابد وأن تكون العواقب وخيمة. كذلك الحال بالنسبة للسان المرء، إذ لا ينطق بشيء إلا بأمرٍ من صاحبه؛ فالمرء حين يحافظ على عفة

---

[1] جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص127

[2] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص22

[3] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج1، ص232

[4] أبو فرده، عايدة: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ج1، ص15

[5] جبر: **المثل الشعبي الفلسطيني**، ص69

[6] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي الفلسطيني**، ص181

لسانه، ويصونه عن الكلام البذيء، ويمنعه من الخوض في أعراض الناس، فهو بذلك يحمي نفسه، فلا يترك مجالا لمن يريد إيذاءه، أما إذا استعمله بعكس ذلك، فهو يعرض نفسه للمشاكل والانتقاد من قبل الآخرين. وهذا ما عبّر عنه المثل بقوله:"**لسانك حصانك إن صنته صانك ولإن خنته خانك**"[1]، وفي رواية أخرى: " **لسانك فرسك إن صنته حرسك وإن هنته رفسك**"[2].

ولهذا المثل صورة مشابهة في الشعر الشعبي، إذ يؤكد على ضرورة لجم اللسان كما يلجم الحصان، فلا ينطلق إلا لما هو خير[3]:

أكثر إشي بيضر في المرء اللسان هذي حقيقة بيعرفها كل البشر

من واجبك أن تلجمه لجم الحصان ولا تطلقه إلا بما الباري أمر

ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن المثل والقصيدة تحيلنا إلى قول الإمام الشافعي[4]:

(الطويل)

إذا رُمْتَ أن تحيا سليما من الأذى ودينُكَ موفورٌ وعرضُك صيّنُ

فلا يَنْطِقنْ منك اللسانُ بِسوأةٍ فكُلُّكَ سوءاتٌ وللناس أعينُ

وفي مثل آخر، تظهر علاقة الخيل الأصيل بالخير، فكما أن الخيل الأصيلة لا خوف عليها في المهمات الصعبة الموكلة إليها، وإن كان بها ضعف أو مانع؛ ذلك لأن عتقها وكرمها يحملانها على الجري، وكذلك الأمر بالنسبة للحرّ الكريم، فهو يحتمل ضيق العيش وإن كان به ضعف حال، ويستعمل الكرم على كل حال. يقول المثل: "**الخيل الأصايل بتجود في الآخر**"[5].

---

[1] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص183

[2] عباس، فؤاد وآخرون: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1989، ص191

[3] حمزة، حسين: **الطائر المحكي– دراسات في الشعر الشعبي**، ص108

[4] الشافعي، محمد بن إدريس: **الديوان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص101

[5] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص21

ويبدو أن المثل السابق هو صدى وامتداد للمثل العربي القديم القائل: "**الخيل تجري على مساويها**"[1].

وإن حدث ووقع حكيم أو عالم في خطأ أو مشكلة، فإن المثل يلتمس له عذرا حين يبين بأن لا أحد معصوم عن الخطأ؛ حتى الحصان الأصيل، الذي يعرف بميزاته وقدراته العالية في ميدان السبق، لابد وأن تزل قدمه فيخطئ. وهذا ما هو واضح بقولهم: "**لكل حصان كبوة ولكل عالم هفوة**".

ولبيان أهمية دور الأب داخل الأسرة، فقد شبه بسائس الخيل الذي عرف عنه قدرته العالية على معرفة طبائع وأخلاق الخيل، وما يرضيها وما يثير غضبها، وكذلك الأمر بالنسبة للأب، فهو سائس لأبنائه يعرف أخلاقهم ويكشف خصالهم ومزاياهم، ولذلك يقولون: " **الأبو سايس**"[2].

كما أن لسلوك الأب دور مهم في تشكيل سلوكيات أبنائه، فهم يرثون عنه بعضا من صفاته وتصرفاته، تماما كما تثبت صفة الأصالة أو تنتفي في الفرس؛ وذلك بناء على وجودها أو عدمه عند أبيه الحصان. وفي ذلك يقول المثل: "**من شبَّى من حصان ركب عليه**"[3].

ولما كانت عادة التفات الشخص حين يدخل على مجلس فيه جماعة من الرجال، تساوي شيئا كثيرا بالنسبة للفلسطيني، فقد وضعوها بقيمة الحصان نفسه، وذلك لما في هذه العادة من أهمية لدرء المشاكل والاحراجات، خاصة إذا تحدث القادم عن شخص معين كان في المجلس دون أن يراه المتكلم. فهم يقولون في ذلك: " **الشَّنة في الديوان بتسوى حصان**"[4].

كما اتخذت الأمثال من بعض عادات الفرس وسيلة لانتقاد بعض من السلوكيات المنتشرة في المجتمع. فمن عادة الفرس، مثلا، دورانها الدائم حول مربطها، فتأكل بقدر مايسمح لها طول الحبل الذي تُربط به، فيكون الربيع أو الزرع المأكول حول مربطها ظاهرا على شكل دائرة.

---

[1] الميداني، أبو الفضل: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ن، ج1، ص238

[2] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص35

[3] المرجع السابق، ص23

[4] زيادنة: **من الأمثال البدوية**، ص132

وقد اتخذ المثل هذه العادة وسيلة لانتقاد الشخص الذي يعود على مـا يقـول ويكـرره مـرات ومرات، وكأنه بذلك يدور حول دائرة مفرغة. إذ يقول: "**زي رعاية الفرس**"[1].

يلاحظ مما سبق، أن مجموعة الأمثال التي تناولت صورة الفرس، كانت فـي مجملهـا إيجابية فيما يتعلق بصفاتها وأهميتها في حياة الناس، "وهذا دليل وعي المثل الشعبي لدور ومكانة الخيول في الحياة العربية، وما يعنيه اقتناء الخيل من (وجاهة) اجتماعية في مفهوم الناس جميعا.

ثالثاً: صورة الفرس في الحكاية الشعبية

تطالعنا صورة الفرس في الحكايات الشعبية، من خلال التركيز على الدور الموكل لهذا الحيوان الأسطوري، والذي يقوم، في معظم الحكايات الخرافية وحكايا الشطار، بدور رئـيس، فيكون الاعتماد عليه واضحا وصريحا، حتى يبدو البطل بالنسبة لهذا الكائن الخيالي، شخصا من الدرجة الثانية في التأثير في مجريات الأحداث، وذلك بعكس الحكايات النمطية التقليدية.

1. الفرس في الحكايات الخرافية

يعرف الباحثون الحكاية الخرافية بأنها "أحدوثة متواترة بالرواية الشفاهية، منثورة ولهـا قدر من القوام. وهذه الأحدوثة تتمركز حول بطل أو بطلة، ويكون البطل فقيرا أو وحيدا، فـي بداية الأحدوثة. وبعد سلسلة من المخاطرات تلعب فيها الخوارق دورا ملموسا يستطيع البطل أن يصل إلى هدفه، فيعيش حياة سعيدة إلى النهاية.

ويكاد المرء يحسب أن هذا التعريف يقترب كثيرا من الانطباق على الحكايـة الشـعبية أيضا لولا ما يرى هنا من "الخوارق" والتي تعني قوى غير مرئية كالجن أو المـردة، أو غيـر بشرية كالغيلان أو الحيوانات التي تتحكم بالسحر وأدواته....كما أن الحكاية الخرافية منعزلة عن الزمان والمكان، فنحن لا ندري الزمان الذي حدثت فيه أو المكان الذي وقعت الأحـداث علـى أرضه[2].

---

[1] زيادنة: **من الأمثال البدوية**، ص161

[2] ينظر، الساريسي، عمر: **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، ط2، عالم الكتب الحديث، إربـد، 2004، ص125-126

من يقف عند الصفات التي رسمتها الحكايات الخرافية للفرس، لا بد وأن يجد تشابها كبيرا مع تلك التي ظهرت في أساطير العالم القديم؛ فالفرس يتصرف كإنسان في تفكيره ومنطقه، وكإله في معرفته للغيبيات، بل إنه في بعض الأوقات يظهر قدرات خارقة تفوق تصورات البشر، وهذا ما يؤكد اتصال الأدب الشعبي بالأساطير عن طريق اللاوعي الجمعي.

ولأن الإنسان مع مرور العصور، تطور في فكره وتعمق في علمه ومعرفته، فقد اختفت بعض المعتقدات لتحل مكانها معتقدات أخرى، ففي الوقت الذي غاب فيه الاعتقاد بوجود عالم الآلهة وأنصاف الآلهة، ظهر الإيمان بقدرة الجن وتأثيرهم القوي في حياة البشر، بل إن العرب في جاهليتهم زعموا أن للجن قدرة على معرفة الغيب والاطلاع على أسرار الكون[1].

ومع ذلك فإن الملامح والصفات التي تظهرها الأساطير للآلهه هي ذاتها التي ظهرت في عقلية الإنسان فيما بعد. فخيرون وبيجاسيوس (الحصان المجنح) اللذان عرفتهما الأساطير كأنصاف آلهة، يعودان من جديد في الحكايات الشعبية، في صورة فرس لا ينتمي إلى عالم الآلهة بل إلى عالم الجن، دون أن يفقد هذا الفرس ما تمتع به السابقان من صفات وقدرات سحرية، فهو قادر على الطيران والتحليق مثل بيجاسيوس، ويتمتع بالحكمة والذكاء والقدرة على التنبؤ مثل خيرون.

وحكاية "منشل الذهب" تؤكد صراحة على كون الحصان "بلان"، الذي قدمته زوجة الملك لابنها الشاطر حسن، ينتمي إلى عالم الجن. وربما كان هذا التأكيد متعمدا، ذلك أن المستمع، بعد أن يعلم حقيقة الحصان، لن يجد غرابة في الصفات والأحداث الخارجة عن حدود المنطق والتي تمكن الفرس من التنبؤ بالأحداث التي سارت عليها الحكاية، إذ ليس كأي فرس عادي وهو الآتي من عالم لطالما نسج عقل الإنسان حوله كثيرا من الحكايات الخارقة، هذا ما يظهر في الحكاية المذكورة، فالحصان هنا يسابق الريح ويطير بلا جناحين إلى أرض لم يكن باستطاعة أحد أن يطأها، فكان بذلك ركيزة أساسية في إنجاح المهمات الموكلة للبطل، الذي بدا ضعيفا لا يقوى

---

[1] ينظر، الخادم، سعد: **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص23

على مواجهة التحديات، دون العودة إلى حصانه الخارق ليأخذ برأيه، فيرشده نحـــو الصـــواب ويعينه على الصعاب.

والمتتبع لحكاية "الشاطر محمد والحصان المسحور"، لابد وأن يرى تشابها كبيرا بـــين الفرس بلان في الحكاية السابقة، والحصان المسحور في هذه الحكاية، إذ بدت قدرة الأخير على التنبؤ واضحة، الأمر الذي أتاح للبطل فرصة ليتجنب المكائد التي كانت زوجة أبيه ترسمها له. يضاف إلى ذلك أن الحصان هنا يتمتع، أيضا، بالقدرة على الطيران، ومسابقة الريح، وتخطـــي الأهوال والمشقات بسهولة بالغة.

لكن الذي يميز الحصان في الحكاية الثانية، أنه وبمجرد إخباره للبطـــل عـــن حقيقتـــه، توجب عليه العودة إلى عالمه، فلا يرى نور الشمس على الأرض إلا حين يستدعيه البطل وذلك عن طريق إحراق شعرة من الشعرات الثلاث التي منحها لصديقه محمد الشاطر، في حين ظـــل الحصان في الحكاية الأولى مرافقا للبطل الذي كان على معرفة بحقيقته منذ أن قُدم له.

ولعل السبب وراء هذا الاختلاف، كون الحصان في الحكاية الثانية مسحورا، وهذا مـــا يؤكده عنوان الحكاية، دون أن نجد في النص ما يشير إلى البدايات الأولى لظهور الحصان في حياة البطل، أو شرح السبب وراء تواجده في قصر الملك.

ومع ذلك فإن الحكايتين السابقتين تتلاقيان في النهاية المفتوحة، فلا يعرف السامع مصير الفرس في كل منهما، وإن كان.باستطاعته أن يخمن بأن الحصان في حكاية " محمـــد الشـــاطر والحصان المسحور" عاد إلى عالمه للأبد، وذلك بحرق آخر شـــعرة مـــن الشـــعرات الـــثلاث الممنوحة للبطل، وهذه النهاية تذكرنا بالمصير الذي آل إليه بيجاسيوس وخيرون، فحين انتهـــى دور كل منهما على هذه البسيطة، حكمت الآلهة برفعهما إلى السماء ليكونا ضمن مجموعة مـــن الكويكبات والنجوم المتألقة في السماء.

ومن المتعارف عليه في العقلية الشعبية، أن السحر مرتبط بعالم الجن، وأن مفعوله يبطل في اللحظة التي يُكشف فيها. والحكاية هنا تبين طريقة من الطرق المتبعة في تجديـــد الســـحر،

تتمثل بإحراق شعرة من شعرات هذا الحصان المسحور. والسؤال الذي لابد وأن يراود القارئ هنا، ما السر الكامن في تلك الشعرات، والذي يجعلها تحمل قوة سحرية؟.

للإجابة عن هذا التساؤل، لابد من الرجوع إلى البدايات، حيث العقيدة الفتيشية، وهي عقيدة قديمة مبنية على الخرافة، إذ "تؤكد أن الجزء يحمل خصائص الكل ويؤدي وظيفته، على أساس أن الروح تظل حية في المادة التي تتقمصها، مهما اعترى هذه المادة من تغير وتحور"[1]؛ فالشعرة التي يحتفظ بها شخوص الحكاية من جني يظهر في شكل حيوان، تحمل روحه، فتكون بذلك كافية لدعوته من أمكنته البعيدة إذا ما تم حرقها[2].

إن الباحث في الحكايات لابد وأن يلاحظ التشابه الكبير بين حكاية " محمد الشاطر والحصان المسحور" وحكاية "اقريعون"، التي تتحدث عن فرس أسود شهد البطل ولادته، ليتعهده فيما بعد بالعناية والرعاية حتى صارا أعز صديقين. وكجزاء عن الخدمة التي قدمها البطل لحصانه، يمنح هذا الحصان، كما في الحكاية السابقة، حزمه من شعره.

صحيح أن حكاية "اقريعون" لا تختلف عن سابقتها، إلا أنها تقدم للسامع التفاصيل عن كيفية ظهور الفرس في حياة البطل، فقد شاءت الأقدار أن يحط البطل رحاله بجوار المغارة التي شهدت ميلاد هذا الفرس، مع أن الحكاية لا تسهب في الحديث عن الأم التي أنجبته، وهذا يدلل على أن عقلية الإنسان ستبقى غير قادرة على استيعاب ما يحدث في عالم الجان، أو ربما كان السبب في عدم تفصيل الحكاية لما حدث قبل تعرف البطل على المهر وأمه، هو ذلك الخوف المتمثل في عقلية الإنسان من الاقتراب أو الخوض في الحديث عن هذا العالم، حتى ان الفلسطيني يحاول قدر الإمكان الابتعاد عن ذكر المصطلحات المتعلقة بالجن، فتراه يقول عوضا عن ذلك: بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي هذا السياق، تحث حكاية" الجني والأخت الخائنة"، عقلية الباحثة على عقد مقارنة بينها وبين الحكايتين السابقتين، فالفتى الذي هو ثمرة علاقة حدثت بين جنيّ وفتاة آدمية، هو ذاته

---

[1] الساريسي، عمر: **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، ص98

[2] ينظر، المرجع السابق، ص99

الحصان المسحور في حكايتي " اقريعون" و" محمد الشاطر والحصان المسحور"، في حين تلعب الفتاة الآدمية دور زوجة الأب التي ظهرت في الحكايتين السابقتين، وذلك من خلال المحاولات المستمرة للتخلص من البطل، لكن الفتى– الفرس، كان دوما هو من يُفشل تلك المحاولات. كما يمثل الجني دور عشيقة زوجة الأب في حكاية "محمد الشاطر"، والطباخ في حكاية "اقريعــون"، وذلك في تحريضه الدائم للفتاة– زوجة الأب، للتخلص من البطل.

إن الأفعال الطيبة التي قام بها الفتى– الفرس، في الحكايات السابقة تؤكــد وتثبــت أن الإنسان كان على وعي كبير بأن الجن منهم الصالح ومنهم دون ذلك.

ولإعطاء الجني الصالح مكانة مرموقة، لجأت الحكاية إلى إظهــاره بمظهــر محبــب ومألوف لدى الإنسان، بجعل صورته على هيئة فرس، الأمر الذي منح المشــهد بعــدا آخــر، فالسامع لا يمكن أن ينفر من جني يتمثل بصورة جميلة، بل سيتعاطف معه وسيفتخر بأفعاله.

وهذا ما يبدو واضحا في حكاية "الحصان الشيطان"[1]، فالقاضي في هذه الحكاية لم يتوقع أن يكون الحصان الذي اعتلى صهوته في سبيل تنفيذ مهمة أوكلت له من قبل الملك، ينتمي إلى عالم الشياطين، فمظهر الحصان الأليف جعل البطل يُؤَمِن له، وربما هذا مــا أراده الشــيطان، فاتخذ من الفرس وسيلة كي تنطوي حيلته على القاضي، الذي سرعان ما اكتشف ذلــك، حــين بدأت قوائم الحصان بالارتفاع، فتنبه إلى أن الحصان لم يكن حصانا عاديا بل شيطانا أراد الفتك به، فاستطاع بفطنته وذكائه التغلب عليه وترويضه، بحيث جعل منه خادما مطيعا.

2. الفرس في الحكايات النمطية التقليدية

يظهر الفرس في هذه الحكايات، بصورة أخرى، أقل تأثيرا في الــنفس مــن الصــورة السابقة، إذ يقتصر دوره على كونه وسيلة تتخذها الشخصيات للتنقل والوصول إلى مبتغاها، فلا يحمل ملامح الشخصية الرئيسة، بل يكون مجرد شخصية ثانوية، وهذا هو الحال فــي معظــم

[1] إن عنوان الحكاية هنا، يذكرنا بما كان عليه العرب قديما، إذ عمد كثير منهم إلى وصف الفرس بالشيطان، دلالــة علــى سرعته، ومن ذلك وصف أعرابي فرسا بقوله:" هو شيطان أشطان". ينظر، الأصفهاني، أبو القاسم الحســن بــن محمــد: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج2، ص680

الحكايات الواقعة تحت هذا النوع، إذ تكثر فيها العبارة التالية: قام "فلان" وركب حصانه وســـار به....

ومن بين تلك الحكايات نذكر، على سبيل المثال، حكاية "مكر النساء يغلب مكر الرجال"، فالحصان هنا لا يؤدي إلا دوره الحقيقي، المتعارف عليه، وهو مساعدة الفرسان على الوصول إلى أقاصي البلاد لتأدية بعض المهام. يضاف إلى ذلك أن الحكاية توضح ما للفرس من أهمية، فلا يستطيع أي كان امتلاكه، فما بالنا إن كان ألف حصان وألف فرس هو مهر الأميرة، الــذي وضعه والدها كي يتخلص من الدرويش الذي طلب يد ابنته للزواج. ومثل ذلك حدث في حكاية الثمن، فحين أراد البطل الزواج من ابنة عمه الملك، وجد أمامه شرطا تعجيزيا، وهو إحضـــار فرس ابن حمدان، أمير إحدى البلدان، حيث كان من المستحيل أن يتخلى عنها هذا الأمير وهـــي المقربة إلى قلبه.

الفصل الثالث

التشكيل الفني لصورة الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني

الفصل الثالث

التشكيل الفني لصورة الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني

لا يختلف الأدب الشعبي عن نظيره الرسمي، في حاجته إلى دراسة معمَّقـة، تتخطـى إطاره الخارجي، لتصل إلى عمق العناصر التي يتشكل منها البناء الفني لهـذا الأدب. ونقصـد بهذه العناصر، الصورة الفنية، واللغة والأسلوب، والموسيقى.

وعلى هذا الأساس، ستقوم الباحثة بدراسة كل عنصر من تلك العناصر، ومعرفة أثـره في بناء صورة الفرس وتشكيلها في الأدب الشعبي الفلسطيني.

أولاً: الصورة الفنية

يُعدّ البحث في الصورة، من أهم المباحث التي اسـتقطبت اهتمـام الدارسـين العـرب والغربيين على حد سواء؛ لكونها "أداة فنية لاستيعاب الشكل والمضمون، بما لهما من مميزات، وما بينهما من وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلا"[1].

كما يطلق مصطلح "الصورة الفنية"، للدلالة على امتزاج المعنى واللفظ والخيال، ومـن ترابطها وتلاؤمها والنظر إليها مرة واحدة عند نقد النص يقوم التقدير الأدبي الصحيح.

ولا بد من الإشارة، إلى أن الصورة وإن كانت طريقة خاصة من طـرق التعبيـر، أو وجها من أوجه الدلالة، إلا أنها – بذاتها– لا يمكن أن تخلق معنى، بل ربما حذفت دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى، وبناء على ذلك، فإن الصورة، ما هي إلا مجموعة من المحسنات تضاف إلى المعنى بعد اكتماله في ذهن صاحبه[2].

ومن الأنواع البلاغية للصورة الفنية "المحسنات المعنوية"، نذكر: الخيـال، والتشـبيه، والاستعارة، والكناية، والتورية وغيرها.

---

[1] الصغير، محمد حسين: **نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة**، دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ت، ص24

[2] ينظر، عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، دار التنـوير، بيـروت، 1983، ص322-323

1. الصورة والخيال

إن استخدام الخيال في العمل الأدبي، يمنح القارئ أو السامع، "القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس"[1].

وقد ظهر الخيال في الحكايات الشعبية الخرافية، بتصوير الفرس بصور تخرج عن حدود المنطق، ليؤدي أدوارا لا يمكن لأي كائن عادي تأديتها، فكان اللجوء إلى الخيال في تصويره، ضرورة من الضرورات التي تتطلبها الأحداث المعقدة.

ويبدو الخيال في شكل الفرس وجوهره واضحا؛ ففي الحكايات الثلاثة التي عرضت سابقا، "محمد الشاطر والحصان المسحور" و " منشل الذهب" و "اقريعون"، يظهر الفرس بصورة كائن يمتلك جناحين يساعدانه على الطيران والتحليق عاليا، كما يمتلك القدرة على النطق ومخاطبة البطل بلغة الإنسان، وهذا كله من شأنه أن يضفي على الصورة عنصر الجمال والتشويق.

يضاف إلى ذلك، نسبة الفرس إلى عالم الجن كما في الحكايات السابقة، أو عالم الشياطين كما في حكاية " الحصان الشيطان"، وهذا بحد ذاته ضرب من الخيال، الذي أعطى للنص بعدا ميتافيزيقيا[2]، وفرصة لدمج الواقع في اللاواقع، فأصبح من الممكن، بوجود مثل هذا الفرس، تفادي الأحداث الصعبة أو حلهاأو الهروب منها بطريقة سهلة وسلسة.

كما تظهر المبالغة، وهي عنصر من عناصر الخيال، في الحكايات النمطية، وذلك حين يطلب والد العروس مهر ابنته، عددا هائلا من الأفراس كما في حكاية " مكر النساء يغلب مكر الرجال"، أو فرسا مشهورة يملكها فارس مغوار، لا يستطيع أحد منازلته وسلب فرسه، كما في حكاية "الثمن".

---

[1] ينظر، عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص13

[2] الميتافيزيقية: فلسفة تبحث في أسرار الكون والظاهر الغريبة، وجميع الأمور الغيبية التي لم يجد لها العلماء تفسيرا. للتعرف على مصطلح الميتافيزيقا ينظر، إمام، عبد الفتاح إمام: **مدخل إلى الميتافيزيقا**، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005، ص17-24

ومع ذلك، وبالرغم من تلك المبالغات الغارقة في الخيال تنحرف الحكاية لصالح البطل، حين تظهر قوته وقدرته على تحقيق الشرط، لكن بعد عناء ومشقة.

وقد ظهرت المبالغة أيضا في بعض الأمثال المتعلقة بالفرس، من ذلك قولهم: " **من قلة الخيل شدوا ع الكلاب سروج**"[1].

فمن غير المعقول أن نرى كلابا تعتلي ظهورها السروج، لكن المثل لجأ إلى المبالغة، كي يعطينا تصورا لحال المجتمع، حين يفقد الأشياء الأصيلة، ويستبدل بها أخرى أقل شأنا وأدنى مرتبة، ومثل هذا يدخل في باب الكناية.

وفي القصيدة الشعبية يتعمّد الشاعر استخدام صيغ المبالغة[2]، للدلالة على عمق العلاقة التي تجمعه بفرسه، فهو – أي الفرس– "مطواع" وليس "بطائع"، وفي هذا إشارة واضحة إلى مدى تواصل الشاعر معه، حتى يغدو هذا الفرس في ذهن السامع وكأنه خاتم في إصبع صاحبه، يُسيّره كيفما شاء.

وللدلالة على سرعة ذلك الفرس، يلجأ الشاعر إلى استخدام عنصر المبالغة في تصوير مشهد الانطلاق، فيبدو الفرس وكأنه يقضم الفيافي والقفار من شدة سرعته.

كما وتصل المبالغة ذروتها، بادعاء الشاعر قدرة رجال قبيلته، الذين يعتلون صهوات الخيل، على أسر مئتي فارس في مدة زمنية لا تتجاوز الربع ساعة[3]. فهذا وإن كان من باب الكناية عن قوة قبيلة الشاعروبأسها، إلا أن ذلك لا يعني ضعف الخصم، بل العكس من ذلك، فقد تعمد الشاعر وصفهم بالفرسان، وهذه نقطة تحسب لصالح رجال قبيلته وخيولهم التي اجتاحت أرض المعركة بعنف عبر عنه الشاعر بالسيل، وفي هذا ما يحمل على المبالغة، الأمر الذي يجعل السامع يقف مذهولا، وهو يتخيل أجواء هذه المعركة.

---

[1] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية**، ص21

[2] ينظر الرسالة، ص 65

[3] ينظر الرسالة، ص 66

2. الصورة والتشبيه

احتلت قضية التشبيه مكانة واسعة في كتب القدماء والمحدثين، بحيث تعددت التعـــاريف وتنوعت الآراء في مفهوم التشبيه.

ومع ذلك يمكن القول إن جل ما كتب في هذا المجال، يصب في مفهوم واحد عبّر عنـــه الدكتور جابر عصفور بقوله: "التشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال. هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقـــارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، أو فـــي كثيـــر مـــن الصـــفات المحسوسة"[1].

ومن الأمثلة التي سيقت في هذه الدراسة من الأدب الشعبي المتعلق بصـــورة الفـــرس، يظهر التشبيه واضحا وصريحا في الشعر والأمثال؛ فنرى الشاعر يستعين بالتشـــبيه التمثيلـــي، ليصور هيئة الفرس وهي تعدو مسرعة في أرض واسعة، بهيئة الغزال حـــين يســـمع صـــوت الرصاص فيفر هاربا، مطلقا لساقيه العنان في أرض واسعة خالية مـــن أي عـــائق يمكـــن أن يعترض طريقه[2]:

يا راكب الـــي فـــي المشـــاحي الســـريعة   تلـــذعت تطـــرا عليهـــا الجفـــال

مثـــل الغـــزال الـــي اشـــرف بالطليعـــة   لـــن رايـــب القنـــاص فـــي دوّ خـــال

وفي موضع آخر، شبهت الخيول المتدفقة على أرض المعركة بالسيل الجارف، وذلـــك في قول الشاعر[3]:

قـــال الأميـــر هيّـــا حومـــة الميـــدان   خيول مثل السيل ع الجبهـــة دفعناهـــا

---

[1] عصفور، جابر: **الصورة الفنية**، ص172

[2] نمر، عمر عبد الرحمن: **شعر البادية في النقب**، ص178

[3] المرجع السابق: ص182

فالشاعر في حديثه هنا، يستعرض نوعا معينا من الخيول، وهو المستخدمة في المعارك والحروب، والتي تسمى بخيل الغار. وقد شبه تلك الخيول بقوتها وصلابتها وعـددها الكبيـر، بالسيل الجارف الذي حين يجتاح مكانا لا يخرج منه إلا وقد أحدث فيه خرابا. فوجه الشبه بـين تلك الخيول والسيل، هو صفة الدمار.

وبالنظر إلى البيت السابق، نرى أن الشاعر قد حذف وجه الشبه، ليدخل التشبيه في باب التشبيه المجمل، مما أعطى الصورة جمالا وقوة.

ومثل هذا النوع من التشبيه، نراه أيضا، في الأغنية التالية[1]:

حمـــرا مثـــل دم الرَّعـــاف واجلالهـــا مـــن قَطِيفِـــه

خيّالهـــا أبـــو فـــلان يـــا واو يشـــبه الزَّنـــاتي خَليفِـــه

فتشبيه لون الفرس بلون الدم، ما هو إلا دلالة واضحة على قوة اللون الأحمر في تلـك الفرس. ولا يقتصر التشبيه هنا على جعل المشبه به عامة، بل نرى فيه تخصيصا، فالدم الـذي شبه به الفرس، هو دم الرعاف، النازف من الأنف، ومن المعروف أن النزيف في تلك المنطقة غالبا ما يخرج بقوة واندفاع وسلاسة، وهذا هو وجه الشبه بين الفرس والدم.

ومن الطبيعي أن مثل هذه الفرس، تحتاج إلى خيّال يستحقها ويقدر تميّزها عن غيرها، وهذا ما كان؛ إذ تشبه الأغنية ذلك الخيّال بالخليفة الزناتي، وهـو سـلطان مشـهور، وبطـل أسطوري يظهر في السيرة الهلالية " تغريبة بني هلال"، وقد عُرف بقوته وجسارته.

ومثل ذلك تشبيه العريس بعنترة بن شداد، وتشبيه فرسه بالأبجر[2]:

عريســـنا عنتـــر عـــبس مـــن فـــوق أبجـــر معتلـــي

وقوة التشبيه هنا، تأتي بحذف الأداة ووجه الشبه، حتى تغدو صورة العريس فوق فرسه هي ذاتها الصورة التي عرفناها في سيرة عنترة الذي قضى وقته معتليا صهوة حصانه الأبجر.

---

[1] علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص174

[2] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، 233

وكثيرا ما شبهت الأغاني والأمثال، المرأة/ العروس بالفرس/ المهرة، والجامع بينهمـــا هو الجمال والطاعة والأصالة، ومن ذلك[1]:

إنـــــت المهيـــــرة وأنــــا خيّالـــــك وعلـــــــى دلالِـــــك علـــــــى دلالـــــك

وكذلك في قولهم[2] :

يـــــا مهيرتـــــــي يـــــا محجلـــــة وانـــــــت عزيـــــــزة مدللــــــــة

والغــــــــرة بيضـــــــــاء واعتلـــــــت مـــــن فــــوق عيـــــون مكحلـــــة

وكذلك الأمر في الامثال، كما في قولهم: " **فلان عنده فرس مثل العروس**"[3]، فالمثل هنا يختار اللحظة التي تكون فيها الفتاة في أجمل صورة لها وهي يوم زفافها، ليشبهها بالفرس.

وأما قولهم: "**النسوان سلايل مثل سلايل الخيل**"[4]، فهذا تأكيد واضح على مـــدى تشـــابه المرأة مع الفرس في جوانب أخرى غير الجمال، فالنساء كما الخيل، يختلفن في قوة النســـل أو ضعفه.

وهناك أمثال كثيرة تظهر قوة التشابه بين المرأة والفرس، استعرضـــتها الباحثـــة فـــي الصفحات السابقة[5].

3. الصورة والاستعارة

الاستعارة: هي " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم مشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"[6]. ومعنى ذلك أن الاستعارة مجاز لغوي علاقتـــه

---

[1] عبيد، يوسف: **صورة من التراث الشعبي في عرابة**، ص197

[2] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص28

[3] المرجع السابق، ص5

[4] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص29

[5] ينظر، الرسالة، ص 94-102

[6] الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، شرح أحمد مصطفى بك، ط1، دار المكتبة العربية، مصر، 1950، ص45

المشابهة، أو لفظ استعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع من أن يكون المراد هو المعنى الأصلي.

وتكمن القيمة الفنية للاستعارة، في أنها لا تلجأ إلى الحقيقة كأسلوب في التعبير، وإنما تختار سبيل المجاز، وهي بحسب تعريفها تنقل اللفظ من معناه الأصلي الذي وضع له، إلى معنى آخر مجازي، بينه وبين المعنى الأصلي مشابهة لقصد المبالغة والتأثير في نفس السامع، وإثارة لخياله دون إطالة أو إطناب[1].

وللاستعارة ثلاثة أنواع رئيسة: تصريحية، ومكنية، وتمثيلية.

أ. الاستعارة التصريحية

هي تشبيه حذف منه المشبه ووجه الشبه وأداة التشبيه وصرح بلفظ المشبه به. مثل ذلك، ما جاء في إحدى أغاني الجفرا[2]:

جفــرا يــا هــالربع بــين كــروم التــينِ

غابت عليّ الشمس يــا مهرتــي حــاكيني

فكلمة "مهرتي" خرجت عن معناها الحقيقي، وهو الفرس، لتدخل في باب المجــاز، ولا يجوز هنا إرادة المعنى الحقيقي، مع المعنى المجازي لوجود قرينة "حاكيني"، التي تنفــي إرادة المعنى الأول؛ لأن الكلام من شأن الإنسان، لا من شأن الحيوان.

إن لجوء المحب إلى استخدام الاستعارة هنا، ربما تخطى مقصده البلاغي؛ فبالإضــافة إلى ما تمنحه الاستعارة للنص من مفاجأة وإثارة، ورغبة في إعمال الفكر، إلا أنها وفــي هــذا النص تعطي للمحب حسن التخلص في الكلام، خاصة في مجتمع محافظ يرفض هذا النوع مــن العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة، الأمر الذي دفع الشاعر إلى استخدام الاستعارة التصريحية وذلك بحذف المشبه وهي المحبوبة، والتصريح بالمشبه به وهي المهرة.

---

[1] ينظر، جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصحيح في البلاغة والعروض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975، ص52

[2] عزازي، صباح السيد: **قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية**، ص81

ومن الاستعارة التصريحية، قولهم: "أصيلة وأخذت كديش"، إذ يلاحظ أن هـذا المثـل يحتوي على مجازين لغويين هما، "أصيلة" و "كديش"، وكلاهما لم يستعمل في معنـاه الحقيقـي الذي وضع له، بل استُعير ليدل على المرأة الوفية و الرجل الخسيس، وكل مجاز مـن هـذين المجازين ليس سوى تشبيه حذف منه لفظ المشبه، واستعير بدله لفظ المشبه بـه، ليـدل عليـه بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه.

ومثل ذلك أيضا قولهم: "أصيلة وعاودت ع رباطها"، فكلمة رباطها، أي مربط الفـرس، هي القرينة المتعلقة بالمعنى القريب غير المراد.

ويكمن جمال الاستعارة في المثالين السابقين، في قدرتها على تحفيز الخيال عند المتلقي، حتى أصبحت المرأة الوفية، وصاحبة الأخلاق العالية، محببة إلى النفس تماما كما هي الفـرس الأصيلة.

ب. الاستعارة التمثيلية

وهي تركيب لغوي من قول مأثور أو حكمة أو مثل، استعمل في غير ما وضع له، مع وجود علاقة مشابهة بين المشبه والمشبه به.

وبناء على التعريف السابق، يمكن القول، إن كل مثل يمكن إدراجه ضمن هذا النوع من الاستعارة.

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، فالمثل المشهور: " لكل حصان كبوة، ولكل عالم هفوة"، يضرب لتصوير حال من يصدر منه الخطأ في مجال غير معروف عنه الخطأ فيه، فهو كالجواد الأصيل الذي تعود الجري والسبق، وربما أتى عليه يوم فتعثر. فاسـتعارة الصـورة المركبـة للمشبه به ونقلها إلى المشبه، مع وجود قرينة حالية تمنع من الظن أن التعبير يعنـي حقيقـة أن الحصان تعثر أو أن العالم أخطأ، تجعل المتلقي يدرك أنه مثل أطلق على الحال الذي يشاهده.

4. الصورة والكناية

الكناية هي: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع لــه في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليــه، فيجعلــه دلــيلا عليه"[1].

وتقسم الكناية إلى عدة أقسام، منها:

أولا، الكناية عن صفة:

وهي التي يصرّح بالموصوف وبالنسبة إليه ولا يصرح بالصفة المطلوبة إثباتها، لكــن يذكر مكانها صفة تستلزمها[2]، نحو:

الخيل تنقط عرق: كناية عن التعب الناتج عن كثرة الجري.

الخيول الرمّاحة: كناية عن كثرة عدوها.

قيدوها بقيد الرمة من بعد قيد الذهب: كناية عن تغير حال الفرس بعد وفاة صاحبها

خيلنا تدوس المنايا: كناية عن القوة والشراسة في القتال.

ثانيا، الكناية عن موصوف:

وهي أن يصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكــن يُذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به[3]، ونحو ذلك، ما أوردناه في بداية الحديث عن الكنايــة، فالمهرة كناية عن موصوف وهي المرأة. ومن ذلك أيضا:

شجيع الخيل: كناية عن موصوف وهو عقيد القوم.

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، ص44

[2] ينظر، عوني، حامد: **المنهاج الواضح للبلاغة**، ج5، ص153

[3] ينظر، المرجع السابق، ج5، ص157

يا بنت الفرس والحصان: كناية عن والدي العروس

رماحتك يابن الهندي: الرماحة كناية عن الفرس.

5. الصورة والافتتان

الافتتان: "هو الجمع بين فنين مختلفين، كالغزل والحماسة، والمدح والهجاء، والتعزية والتهنئة"[1].

ومن ذلك، ما نراه في قول الشاعر[2]:

بارودة أحمد ترعدي أبو النمر ليث البِطاح

يا حيف الزرقا معاوده خيّالها قوطر وراح[3]

فالشاعر يجمع في هذه البيتين بين الفخر والهجاء، حيث يفتخر برجال قرية بيتا الذين لم يتوانوا في لدفاع عن موكب العروس بعد أن اعترض طريقهم شباب من "حوارة" يريدون منهم دفع ضريبة المرور، حسب العادة المتبعة آنذاك عند مرور مواكب العرائس من قرية إلى أخرى، ودار شجار عنيف بين القريتين، حيث كان الشاعر أحدى الشعراء مع المرافقين، فكتب هذه المقطوعة مصورا ماجرى.

6. الصورة والجمع

الجمع: "هو أن يجمع المتكلم بين أمرين أو أكثر في حكم واحد"[4].

ولذلك مثال في قولهم: "**السعادة بثلاثة، الدار والمرة المطيعة والفرس السريعة**"[5]، فالمثل يجمع بين الدار والمرأة المطيعة لزوجها والفرس السريعة التي تسر صاحبها، في حكم واحد وهو السعادة.

---

[1] موقده، سمير محمد: **الشامل في علوم البلاغة**، دار الجامعة، نابلس، 2013، ص99

[2] الجاغوب، محمد: **فلكلور من قرية بيتا**، ط1، د.ن، د.م، 1999، ص80

[3] الزرقا: الفرس الزرقاء/ أبو النمر: رجل من بيتا يدعى أبو العبد/ قوطر: مضى ولم يَعُد.

[4] موقده، سمير محمد: **الشامل في علوم البلاغة**، ص126

[5] حجازي، أحمد: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص20

وكذلك الأمر في قولهم: " **المرة والفرس والبارودة ما بيتشحَّدوا**"[1]، فالمثل يجمع بـين المرأة والفرس والسلاح، في حكم واحد وهو ضرورة المحافظة عليهم وعدم التفريط بهم.

في نهاية الحديث عن الصورة الفنية، لابد من الإشارة إلى أن استخدامها في الأدب الشعبي ربما جاء عفو الخاطر؛ إذ فيها من البساطة وعدم التكلف ما يجعلنا ندرك أن هذا الانسان البسيط كان يعتمد بالدرجة الأولى على ما يراه حوله وما يسمعه في محيطه، فاستطاع بناء على ذلك، تكوين صور فنية بسيطة حملت قدرا لا بأس به من الجمال البلاغي.

ثالثاً: اللغة والأسلوب

تتسم لغة الأدب الشعبي باللارسمية، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأنها "فصحى مسهلة، أو ميسرة، حتى تكاد تقارب العامية في الشكل الظاهري"[2]، وهذا أمر طبيعي؛ فما دام الإنسان ابن بيئته الطبيعية والاجتماعية، فإن أدبه لا بد وأن يأتي تعبيرا عن ذاته وعن حياته وعن تلك البيئة التي يعيش في كنفها، فكثيرا ما يستعين هذا الأدب بالمفردات التي لها صلة مباشرة بتلك البيئة.

ومع ذلك، فإن استخدام الإنسان للألفاظ والمفردات في الأدب الشعبي، جاء بشكل منظم بعيدا عن العشوائية في الانتقاء، فوضع الألفاظ في المثل أو الشعر أو حتى الحكاية، مرتبط بمقتضى الحال، بحيث يكون المقال مناسبا للمقام ومرتبطا بالحدث.

ومن السمات اللغوية البارزة في الأدب الشعبي عامة والمثل خاصة، سمة الإيجاز، ففي الوقت الذي لا يتعدى فيه قولهم: "**بيجفل مثل الفرس**"[3]، عن ثلاث كلمات إلا أن هناك الكثير من المعاني والدلالات العميقة التي يمكن استخلاصها من ذلك، وهذا ما يعطي للمثل قوة وبلاغة من الناحيتين الأدبية واللغوية.

---

[1] زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية**، ص29

[2] ذهني، محمود: **الأدب الشعبي العربي "مفهومه ومضمونه"**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ت، ص89

[3] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ص181

ومما يميز الجمل البليغة كونها تحمل عدة معان ويمكن إسقاطها على أنواع مختلفة من الظروف، فعلى سبيل المثال، فإن قولهم: "**حصانين ع مدود ما برتبطنش**"[1]، يصلح للتعبير عن المنافسة بين الأفراد والجماعات، بل ربما تعدى ذلك إلى التعبير عن الصراع الذي يحدث بين الدول العظمى.

والمتأمل في الحكايات الشعبية، سيرى كيف أنها بنيت تركيبيا على الجمل البسيطة، ذات المحمول الواحد، سواء أكان محمولا فعليا أم اسميا أم ظرفا أم حالا..الخ.

ومن الملاحظ أن الجملة الفعلية، هي المهيمنة على نص الحكايات التي استعرضتها الدراسة، خاصة عند الحديث عن الفرس، وذلك للتدليل على الحركية، والتوتر الدرامي، وإثراء الإيقاع السردي؛ فالاسم يفيد الثبوت، في حين يفيد الفعل التجدد والحدوث، ولعل السبب وراء ذلك، هو أن الفعل مقيد بالزمن، فالماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بالزمن الحالي أو الاستقبال في معظم الأحيان، في حين أن الاسم خالٍ من التّقييد بزمن أيًّا كان، فهو أشمل وأعم وأثبت[2]، وبناء على ذلك كان لابد من استخدام الجمل الفعلية؛ لتناسب إيقاعها ودلالاتها مع حركة الفرس التي تجاوزت حد الجري والقفز إلى الطيران.

وفي الوقت الذي يسلط فيه الضوء على دور الفرس في إنقاذ البطل من المواقف الصعبة التي كانت تواجهه، يبدأ السارد جملته بالفعل طار، الذي تكرر ست مرات في حكاية منشل الذهب، وقد ينوب عن هذا الفعل فعل آخر يحمل معنى الطيران، كما هو الحال في حكاية " الحصان الشيطان"، حيث بدأ السارد حديثه عن حركة الحصان بقوله:" أخذت قوائم الحصان تطول وتطول والقاضي يرتفع ويبتعد عن الأرض..".

ولما كان الهدوء هو سيد الموقف، لجأ السارد في حكاية "منشل الذهب"، إلى استخدام الفعل "مشى"، لتتناسب حركة الفرس مع ما يسود الأجواء من هدوء سبق العاصفة. فالفعل مشى

---

[1] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ص191

[2] ينظر، زيود، حارث: **بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة "آل عمران" –دراسة نحوية دلالية**، إشراف أحمد حامد، جامعة النجاح، نابلس، 2008، ص45

يطغى عليه طابع التأني والوقار في الحركة، خلافا للفعل طار، الذي يناسب في سرعته ما طرأ على الموقف من صعوبة تتطلب حركة أقوى من الحركة التـــي يعطيهـــا فعـــل المشـــي: " دار هالحصان للغرب ومشي. هذيك روحت. هاظا ظل ماشي مع وجهه، يوم يومين، ثلاثة،أربعـــة، عشرة، شهر، يعلم الله قديش".

ومن الظواهر اللغوية أيضا، ظاهرة الحذف، لاسيما حذف الموصوف والإبقـــاء علـــى الصفة، ومن ذلك قولهم:"**كحيلة وعاودت ع رباطها**"[1]، فكلمة كحيلة هي صفة تـــرتبط بـــالفرس الأصيلة.

ومن ذلك أيضا، حذف الفعل والفاعل والإبقاء على المفعول بـــه، كمـــا فـــي قـــولهم: " **ظهورها يا خيّالة**"[2]، أي اركبوا ظهور الخيل يا خيّالة، وهذا الحذف يتناسب مع الموقف الـــذي يقال فيه هذا المثل، فالدعوة لركوب الخيل عند الغزو، تحتاج إلى اســـتخدام عبـــارات قصـــيرة وموجزة لا عبارات طويلة تحتاج وقتا أطول لشحذ الهمم.

وللحذف فائدة بلاغية واضحة؛ إذ يعطي للجملة من البيان والتصوير ما ليس لهـــا لـــو صرح بالمحذوف، كما يعمل على تكثيف العبارة وإيجازها، وتحريك المتلقـــي وإثـــارة خيالـــه، وكسر المألوف في اللغة.

ثالثاً: الموسيقا

تعد الموسيقا من السمات الأساسية في اللغة الفنية، فهي من أكثر الفنـــون تـــأثيرا فـــي النفس، وأقربها إلى الإنسان، وأعظمها التصاقا بوجدانه ومشاعره[3].

والمقصود بالموسيقا هو "الإيقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف، وتـــآلف العبارات وأنغام الأوزان، والقوافي، وحروف الروي"[4]

---

[1] أبو فردة، عايدة: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص157

[2] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص22

[3] ينظر، ذهني، محمود: **الأدب الشعبي العربي "مفهومه ومضمونه"**، ص105- 106

[4] التونجي، محمد: **المعجم المفصل في الأدب**، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص837.

ويشكل اللفظ المفرد، بحد ذاته، موسيقا تسببها الملامح التمييزية[1] للحروف المتآلفة في الكلمة الواحدة، فالفاء والراء والسين في كلمة "فرس"، تجتمع لتعطي الكلمة إيقاعا موسيقيا مميزا.

فالنطق بالفاء يتطلب اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالا لا يسمح بمرور الهواء فيحتك بها، مع رفع مؤخرة الطبق، لسد التجويف الأنفي، مع ملاحظة أن الأوتار الصوتية لا تهتز، الأمر الذي يمنح هذا الصوت صفة الهمس[2]، وهي صفة تضفي على الصوت جانبا من الضعف، وهذا هو الحال أيضا مع حرف السين، فهو صوت مهموس، ينطق بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى؛ ويكون الفراغ بين طرف اللسان واللثة قليلا جدا. مع خفض مؤخر اللسان وفتح الأوتار الصوتية فلا تهتز عند مرور الهواء بها[3].

ومما سبق، يتضح أن مَلْمَحَي الاحتكاك والهمس[4]، وهما ملمحا ضعف في الصوت، يشتركان في حرفي الفاء والسين. لكن الراء المتوسطة بينهما، تنجح بتقليل الضعف، وذلك لاتسامها بملمح قوة، وهو الجهر. فحين النطق بالراء، تكون الأوتار الصوتية في حالة تضييق، مما يجعلها تهتز عند مرور الهواء بها، كما أنها صوت تكراري، إذ يترك اللسان، أثناء النطق بها، مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف ضاربا طرفه في اللثة ضربات مكررة[5]، وعلى هذا الأساس، فإن صوت الراء من الأصوات المتوسطة بين الاحتكاك والانفجار.

---

[1] الملامح التمييزية: هي عبارة عن خصائص صوتية، يمكن أن تميز معنى منطوق من معنى منطوق آخر، ومعظم هذه الخصائص خصائص مخرجية. كالجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، والاحكتاك والانفجار. ينظر، جامعة القدس المفتوحة: **علم الأصوات العربية**، محمد جواد النوري، ط1، عمان، 1996، ص125

[2] ينظر، عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص43

[3] ينظر، كمال الدين، حازم: **دراسة في علم الأصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، ص28

[4] الأصوات الإحتكاكية: هي الأصوات التي لا ينطبق عضوا النطق بها، انطباقا تاما، وإنما يقتربان اقترابا شديدا، بحيث يؤدي هاذ الاقتراب إلى خروج الهواء من خلال العضوين المتقاربين، مع حدوث احتكام مسوع. أما الأصوات المهموسة، فهي الأصوات التي لا يهتز، في أثناء النطق بها، الوتران الصوتيان، نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهواء، وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز. ينظر، النوري، محمد جواد، **علم الأصوات العربية**، ص147و ص150

[5] ينظر، عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة**، ص48

وإلى جانب موسيقا اللفظ المفرد التي تشكلها حروف كلمة "فـرس"، هنـاك "موسـيقى العبارة والجملة، والموسيقا الصناعية كالوزن والقافية في الشعر، والسجع في النثر، ثم التكامـل الموسيقي أو تفاعل كل تلك الموسيقات المختلفة وتآلفهـا لتكـوّن لحنـا مركبـا مثـل ألحـان السيمفونيات"[1].

ولما كان الشعر الشعبي يستمد موسيقاه من اهتمام الشعراء بالألفاظ من ناحيـة الـرنين والجرس، فالنطق بكلمة فرس فيه نوع من الرنين أكثر من قولنا حصان أو مهرة. لكن هـذا لا يعني انتفاء تلك الألفاظ من الشعر الشعبي، فقد يلجأ الشاعر إلى الاستعانة بكلمة حصان لمسايرة الكلمة التي ينتهي بها الشطر الأول، في الوزن والقافية وهذا ما يسمى ب "التصريع"، كما في[2]:

كـوني سَـميحة مْليحـة نَعَـمِ للعِيلـة   كوني مْليحة يا بنت الفـرس الأصـيلة

كـوني سـميحة مليحـة نَعَـمِ للجيـران   كوني مليحة يا بنت الفرس والحصـان

وكذلك[3]:

شـدّ إلهـا يـا أبوهـا عـالمهرة   وإن طلبـت مصـاري بالعشْـرة

فالاستخدام الموسيقي في الشعر الشعبي، يتجلى في "تناسب الأجـزاء وتوزيـع القافيـة وتواتر الحروف المتشابهة الرنين، بوصفها دعامة من دعامـات السـياق الموسـيقي للعبـارة الشعرية"[4].

وللإيقاع الناتج عن صهيل الخيل وحركتها في أثناء الجري، أثر في اللحـن الموسـيقي للأغنية الشعبية، خاصة أغاني الزفة التي تبث الحماسة في نفوس الشباب والنسوة، وتجعل الخيل تتمايل على تلك الإيقاعات، وهذا ما تعبر عنه إحدى أغاني الزفة[5]:

---

[1] ذهني، محمود: **الأدب الشعبي العربي**، ص106

[2] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص243

[3] جاد الله، خليفة محمد: **الأدب الشعبي في فلسطين**، ص20

[4] العارفي، يوسف: **الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان – دراسة اثنوغرافية**–، إشراف خالد عيقون، جامعـة مولـد معمري، الجزائر، 2012، ص61

[5] سرحان، نمر: **موسوعة الفلوكلور الفلسطيني**، ج1، ص231

ســـــاحة بلـــــدنا للهـــــوى ميـــــدان

فيهـــا الخيـــل تخُـــبّ فـــي الرســـان

وربما تقارب بعض الأغاني في أوزانها، مع صوت جريان الخيل، فمن يدقق بتفعيلتـــي البحر المديد "فاعلاتن وفاعلن"، وهو البحر الذي تقوم عليه كثير من أغاني الزفـــة، لابـــد وأن يلاحظ مثل هذا التقارب.

ومن تلك الأغاني[1]:

عـــددوا المهـــرة وشـــدّوا عليهـــا　　تـــا يجـــي العـــريس و يركـــب عليهـــا

–ب––/–ب–/–ب––　　–ب––/–ب–/–ب––[2]

فـــــاعلاتن/فـــــاعلن/فـــــاعلاتن　　فـــــاعلاتن/فـــــاعلن/فـــــاعلاتن

كما يلعب التكرار صفة جوهرية ودورا كبيرا في موسيقا النص الشعبي، وهذا ما نجـــده في الأغنية الشعبية[3]:

شَـــدوا عَ الخيـــل يـــا صِـــبيان شِـــدوا　　شِدوا عَ الخيـــل فـــي بـــاب المَضـــافة

وكذلك في قولهم[4]:

وهـــــاي دار العـــــزّ وإحنـــــا رجالْهـــــا　　وْخيلنـــــا تـــــدوس المنايـــــا خيلنـــــا

وقولهم[5] :

هيه يـــا صُـــويحبي يـــا رَكّـــاب الفـــرس　　شوقي أردفني وراك يا خيّـــال الفـــرس

---

[1] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص151

[2] حتى يستقيم الوزن تنطق كلمة العريس "عارس. ينظر، الديك، إحسان: **تناسخ أوزان الشعر العربي في الأغنية الشعبية الفلسطينية**، مجلة جامعة الخليل للبحوث، م6، ع2، 2011، ص43

[3] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص45

[4] لوباني، حسين: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص151

[5] ربيع، وليد: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني**، ص230

فبالإضافة إلى ما يحمله التكرار للفظ من تأكيد المعنى، وزيادة الترغيب في الشيء، أو للحث وبث الحماسة في النفوس، فإنه يسم الأغنية، أيضا، بوسم موسيقي خاص.

أما الأمثال الشعبية، فقد تمتعت بنوع آخر من الموسيقى، تمثل في السجع، والذي ينتج عن توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير[1]. فالسجع في النثر يقابل التصريع في الشعر. وللسجع ثلاثة أضرب: مُطَّرِّف وترصيع.

فإذا اختلفت الألفاظ المسجوعة في الوزن كان السجع مطّرفا[2]، ومن أمثلة ذلك قولهم: "**أخذك بنات، وركبك صافنات، ومشيك ع ثبات**"[3]، فوزن "بنات، وثبات، يخالف وزن صافنات.

ومثل ذلك قولهم: " **قده قد الدبور، بلاعب الخيل في البور**"[4]، فكلمتي دبور وبور تتفقان في الحرف الأخير لكنهما تختلفان في الوزن؛ فالأولى على وزن فعول، في حين جاء الثانية على وزن فعل.

وأما إذا اتفقت الألفاظ المسجوعة في الوزن، فهذا يدخلها في ضرب الترصيع[5]، ومن ذلك قولهم: "**نواصي وعْتابْ، وحوافر وِكْعاب**"[6]، وقولهم: " **مالك بتمشي وبيدك جرس، قال انسيب انسيبنا اشترى فرس**"[7]، وغيرها من الأمثال التي للسجع فيها دور مميز، في منحها إيقاعا موسيقيا عذبا.

من هنا، نستطيع القول، إن عناصر التشكيل الفني للأدب الشعبي، تتمازعن غيره، وذلك من خلال قدرتها على جعل المعاني التي يحملها هذا الأدب، أكثر إيحاء، كما أنها تساعد على

[1] ينظر، محمد، عاطف فضل: **البلاغة العربية**، ط1، دار المسيرة، عمان، 2011، ص259

[2] ينظر، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، القاهرة، 1960،ج4، ص92

[3] حمدان، عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص20

[4] حسونة، خليل: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ص186

[5] ينظر، الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، ج4، ص92

[6] سرحان، نمر: **موسوعة الفولكلور الفلسطيني**، ج1، ص307

[7] حمدان عمر: **الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني**، ص21

تنشيط عمليتي التصور والتخيل، وتستدر تداعي المعاني، وتحمل إشعاعات وجدانيـــة، وتمتلـــك وقعا موسيقيا يبث فيه الحياة، فينساب إلى النفس ناقلا التجارب الوجدانية من جيل إلى آخر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والرسـالات، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما تسليما كثيرا، أما بعد:

ففي نهاية هذه الدراسة، خرجت الباحثة بجملة من النتائج، يمكن تلخيصها على النحـو الآتي:

1- رافق الفرس الإنسان على مر العصور، فكان واحدا من الكائنـات التـي تركـت صـورة واضحة في مخيلة الشعوب، وذلك بما تحمله تلك الصورة من رموز للقوة والجمال.

2- برزت الأساطير التي عبرت عن الفرس ومكانته في حياة الإنسان منذ القدم، لتخرج بصورة واضحة عما حمله الفكر البشري من معتقدات حملت طابعا رمزيا لصورة هـذا الكـائن، مضفية إليه هالة من القداسة، امتدت حتى يومنا هذا.

3- ارتبط حضور الفرس برموز مقدسة، كالمرأة والسماء والماء، إذ لم يأت هذا الـربط مـن الفراغ، بل كان مبنيا على أسس ومقومات وثيقة.

4-لم تكن الحضارة العربية القديمة، بعيدة عن تلك الأساطير الغارقة في عمق التاريخ،، حيـث شكل الفارس والفرس والسيف ثالوثا موحدا، يرمز إلى عز العربي ومنعته وشرفه.

5- على غرار الأساطير القديمة، ظهرت أساطير عربية، تبرز مكانة الفرس في الفكر العربـي القديم، التي أصبحت نمطا ثقافيا عبرت عنه الثقافة العربية بوسائلها التعبيرية كافـة نثـرا وشعرا.

6- اكتسب الفرس مكانة واضحة ومميزة في الأدب العربي قديمه وحديثـه، فـانبرى الشـاعر الجاهلي بوصف هذا الكائن الذي رافقه في حله وترحاله، حتى غدت صورته لوحة أساسية يفردها الشاعر في قصيدته.

7- ضمت المكتبة العربية مؤلفات لا تحصى حول فصائل الفرس، وآداب الفروسية، وأخبار الفرسان، وذلك نابع عن حرص العربي وتشدده في المحافظة على أنساب الخيل.

8- أبرز الإسلام قيمة الفرس، إذ يكفيه شرفا أن ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عدة، وذلك في سياق ما امتن الله على عباده، وما سخر لهم من مخلوقات، جعلها رمزا للقوة المتطورة مع الزمن.

9- لم يقتصر بيان أهمية الفرس على القرآن الكريم، بل كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يحث المسلمين على اتخاذ الخيل، وعلى ارتباطها في سبيل الله، من خلال مجموعة من الأحاديث المتفق عليها.

10- تتقاطع كثير من المعتقدات الشعبية السائدة في يومنا هذا، مع تلك التي وضعها الإنسان الأول وصاغها على هيئة أساطير وخرافات، وهذا ما يظهر بشكل واضح، في العلاقة القائمة بين الفارس الفلسطيني وفرسه.

11- استقرت صورة الفرس في فكر الشعب الفلسطيني، من خلال المأثور القولي، المنتقل من جيل إلى جيل، حيث احتلت تلك الصورة مساحة كبيرة في الشعر الشعبي وفي الأمثال والحكايات.

12- لم تكد تمر على الفلسطيني مناسبة إلا ومثل الفرس فيها دورا أساسيا، ولا سيما صورته في أغاني الأفراح، والحماسة، وأغاني الأطفال، والبكائيات.

13- حمل الأدب الشعبي الفلسطيني، مجموعة من الأمثال التي تدل على مكانة الخيل في حياة الإنسان اليومية، فبعضها مستمد من التراث العربي، وبعضها الآخر هو من وحي الحياة التي عاشها الفلسطيني برفقة فرسه.

14- يحتل الفرس في حكايات الشطار والحكايات الخرافية دورا رئيسا، حتى يبدو البطل بالنسبة إليه، شخصا من الدرجة الثانية في التأثير في مجريات الأحداث، وذلك بعكس الحكايات

النمطية التقليدية، إذ يقتصر دوره على كونه وسيلة يتخذها البطل للتنقل والوصـول إلـى هدفه.

15- برز جمال صورة الفرس في الأدب الشعبي الفلسطيني، من خلال تحليل عناصـر البنـاء الفني لذلك الأدب، من صورة فنية ولغة وأسلوب وموسيقى.

16- أن استخدام الصورة في الأدب الشعبي ربما جاء عفو الخاطر؛ إذ فيها من البساطة وعـدم التكلف ما يجعلنا ندرك أن هذا الإنسان البسيط كان يعتمد بالدرجة الأولى على ما يراه حوله وما يسمعه في محيطه، فاستطاع بناء على ذلك، تكوين صور فنية بسيطة حملت قـدرا لا بأس به من الجمال البلاغي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، ط5، دار الكتاب المقدس، القاهرة، 2006

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستَطرف في كل فن مستظرف**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت

الأزهري، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد الكريم العزباوي، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، د.ت

الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب: **مبادئ اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985

الأصفهاني، أبو فرج: **الأغاني**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ط1، شركة دار الأرقم بن الأرقم،1420هـ

ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد: **أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، رواية أبي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمود القيسي وآخرين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987

ألبيديل، م. ف: **سحر الأساطير – دراسة في الأسطورة –التاريخ – الحياة**، ترجمة ميخائيل إسحاق، ط1، دار علاء الدين للنشر، سوريا، 2005

إمام، إمام عبد الفتاح: **مدخل إلى الميتافيزيقا**، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005

معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت

أوفيد: **مسخ الكائنات: ميتامورفوزس**، ترجمة ثروت عكاشة، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979

بارندر، جفري:**المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر،1996

الباش، حسن وآخرون: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، د.م، 1980

بالدوين، جيمس: **أقاصيص من الأساطير اليونانية**، ترجمة جميل منصور، دار العراب، دمشق، 2011

باناتي، تشارلز: **قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء**، ترجمة مروان مسلوب، ط1، دار الخيال، لبنان، 2003

البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، ط1، دار الفكر، بيروت،1991

البرغوثي، عبد اللطيف: **ديوان العتابا الفلسطينية**، مؤسسة البيادر، القدس، 1986

البلاذري،أحمد بن يحيى:**فتوح البلدان**، مطبعة الموسوعات، القاهرة،1901

التونجي، محمد: **المعجم المفصل في الأدب**، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، دار الآفاق الجديدة، د.م،1982

الجاحظ، عمر بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت

الجاغوب، محمد: **فلكلور من قرية بيتا**، ط1، د.ن، د.م، 1999

جامعة القدس المفتوحة: **علم الأصوات العربية**، محمد جواد النوري، ط1، عمان، 1996

جبر، محمد كمال: **المثل الشعبي الفلسطيني**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2012

الجبوري، صلاح سليمان رميض: **أدب الحكمة في وادي الرافدين**، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 2000م

الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، شرح أحمد مصطفى بك، ط1، دار المكتبة العربية، مصر، 1950

جماعة من الأساتذة: **الأسلوب الصحيح في البلاغة والعروض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975

جمعة،حسين:**الحيوان في الشعر الجاهلي**، دار مؤسسة رسلان، دمشق،2010

جواد، علي: **المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت

الجوهري، محمد: **علم الفولكلور دراسة المعتقدات الشعبية**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980

حجازي،أحمد توفيق: **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية مع باقة من الشعر والأغاني التراثية**،ط1، دار أسامة، عمان، 2002

ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الأنباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري**، شرح محب الدين الخطيب، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1986

حسونة، خليل إبراهيم: **عن المثل الشعبي العربي الفلسطيني**، ط1، دار ابن خلدون، غزة، 2002

الحسين، قصي: **أنتربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام – قراءة تحليلية للأصول الفنية**، ط1، د.ن، د.م، 1993

حمزة، حسين: **الطائر المحكي دراسات في الشعر الشعبي**، ط1، منشورات مواقف، الناصرة، 2001

ابن حنبل، أحمد بن محمد: **المسند**،، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1998

الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط4، دار القلم، بيروت، 1962

الخادم،سعد: **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت

الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي: **شرح ديوان الحماسة**، عالم الكتب، بيروت،د.ت

خليل، خليل أحمد: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، دار الأسوار للطباعة والنشر، عكا، د.ت

الخليلي، علي: **الغول- مدخل إلى الخرافة العربية**، ط1، منشورات الرواد، القدس، 1982

خير، نزيه: **دالية الكرمل في ثلاثمائة عام**، دار الهدى، كفر قرع، د.ت

داود، جرجس داود:**أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،1981

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، 2000

ابن دريد، محمد الحسن الأزدي: **جمهرة اللغة**، تحقيق زين العابدين، ط1، مؤسسة الحلبي للنشر، القاهرة، 1345هـ

الدغيشي، حمود خلفات: **معجم الخيل العربية الأصيلة**، ط1، دار جرير، عمان، 2010

الدميري، كمال الدين بن محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002

ديوان الأساطير-سومر وأكاد وآشور-، ترجمة قاسم الشواف، ط1، دار الساقي، بيروت، 1997

الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ط1، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، 2013

ذهني، محمود: **الأدب الشعبي العربي "مفهومه ومضمونه"**، مكتبة الأنجلو المصــرية، مصــر، د.ت

ربيع، وليد وآخرون: **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني- قرية ترمسعَيا**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، 1987

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3،م.السعادة، مصر، 1963

الزمخشري، محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويـــل**، ط1، مطبعة مصطفى محمد،القاهرة، 1354هـ

زيادنة، صالح: **من الأمثال البدوية، طائفة من أمثالنا الشعبية**، ط1، د.م، 1997

زيّاد، توفيق: **صور من الأدب الشعبي الفلسطيني**، ط2، مطبعة أبو رحمون، عكا، 1994

الساريسي، عمر: **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني**، ط2، عالم الكتب الحــديث، إربــد، 2004

الساعاتي، سامية حسن: **السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميداني**، ط1، مكتبــو الأنجلــو المصرية، 1982

السبيعي، سند بن مطلق: **الخيل معقود في نواصيها الخير**، ط1، مكتبــة العبيكــان، الريــاض، 2004

سرحان، نمر: **موسوعة الفلوكلور الفلسطيني**، ط2، البنك العربي المحدود، عمان، 1989

السقا، أحمد: **يوم الرب المسمى معركة هرمجدون في التوراة والإنجيـل والقـرآن**، ط2، دار الكتاب العربي، دمشق، 2004

سلامة، ابن جندل: **الديوان**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987

السواح، فراس: **دين الإنسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الـديني**، ط4، دار عـلاء الدين للنشر، دمشق، 2002

لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسـطورة، ط8، دار عـلاء الـدين، دمشق، 1985 **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ط1، دار عـلاء الـدين، دمشق، 2006

مغامرة العقل الأولى دراسة في الاسطورة – سوريا وبـلاد الرافـدين، ط4، دار الكلمة، بيروت، 1985

ابن سيده، علي بن اسماعيل: **المخصص**، دار الفكر، بيروت، د.ت

سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن –الأديان – الحياة**، ترجمة عبد الهادي عباس، ط1، سـوريا، دار دمشق، 1992

ابن سيرين، محمد: **تفسير الأحلام الكبير"منتخب الكلام في تفسير الأحلام**"،تحقيق أسامة محمـد السيد، ط3، دار أسامة للنشر، الأردن، 1999

شابيرو، ماكس: **معجم الأساطير**، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين، دمشق، 1999

الشافعي، محمد بن إدريس: **الديوان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000

شقير، نعوم: **تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها**، تحقيق محمـد ابـراهيم أو سـليم، دار الجيل، بيروت، د.ت

شنوت، نور صاحب: **موسوعة الأساطير والقصص**، دار دجلة، عمان، 2008

ابن شهيد، أحمد عبد الملك: **رسالة التوابع والزوابع**، تحقيق بطرس البستاني، ط1، دار صادر، بيروت، 1996

الشورى، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي: تفسير أسـطوري**، ط1، الشـركة المصـرية للنشر، مصر، 1996

الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علـوم البلاغـة**، مكتبـة الآداب، القاهرة، 1960

الصغير، محمد حسين: **نظرية النقد العربي رؤية قرآنيـة معاصـرة**، دار المـؤرخ العربـي، بيروت، د.ن

الصوفي، عبدالرحمن بن عمر الرازي:**صور الكواكب الثمانية والأربعين**، تحقيق لجنـة إحيـاء التراث العربي، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981

ابن طباطبا، محمد أحمد: **عيار الشعر**، شرح وتحقيق عباس عبـد السـتار، ط2، دار الكتـب العلمية، بيروت، 2005

الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد:**المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السـلفي، مكتبة ابن تمية،القاهرة، د.ت

الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في أحكام القرآن**، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1978

عباس، فؤاد وآخرون: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1989

عبد البديع، لطفي: **عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب**، ط1، مكتبة النهوض المصرية، القاهرة، 1976

عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ط3، مكتبـة الخـانجي، القاهرة، 1997

عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت

عبيد، بدر الدين: **الأمثال الشعبية من أفواه البرية**، ط1، دار الينابيع، دمشق، 2009

عبيد، يوسف: **صورة من التراث الشعبي في عرابة**، ط1، دار الصفاء للنشر، عمان، 1999

عجينة، محمد: **أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994

عرنيطة، يسرى: **الفنون الشعبية في فلسطين**، ط3، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1997

عزازي، صباح السيد: **قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية**، ط1، دار الجليل، عمان، 1989

عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، دار التنوير، بيروت، 1983

علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1992

علي، فاضل عبد الواحد: **سومر أسطورة وملحمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت

علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط2، دار علوش للنشر، بيرزيت، 2001

عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997

عودة، أحمد: **الأمثال الشعبية الفلسطينية: قراءة معاصرة**، ط1، دار دجلة، عمان، 2011

عوني، حامد: **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الازهرية للتراث، د.م، د.ن

غلوب، قبلان: **الحصان العربي الأصيل**، جروس برس، لبنان، 1989

غيربر، هـ.أ: **أساطير الإغريق والرومان**، ترجمة حسني فريز، وزارة الثقافة، عمان، د.ت

ابن فارس، أحمد بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.م، د.ن

الفخر الرازي، محمد فخر الدين: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1981

أبو فرده، عايدة محمد: **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ط1، د.ن، عمان، 1995

الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**، دار الهلال، د.م، 175هـ.

فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974

فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الاسلام**، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:**عيون الأخبار:الحرب والفروسية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977

القرشي، عبد الله بن محمد: **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت، 2010

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967

القزويني، زكريا بن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت

قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ط25، دار الشروق، بيروت، 1996

امرؤ القيس، حندج بن حجر: **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل، ط4، دار المعارف، القـــاهرة، 1984

القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ط1، دار الأرشاد، بيروت، 1970

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيـــروت، 1969

كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، د.م، 1974

ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب: **نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها**، رواية أبـــي منصور الجواليقي، تحقيق نوري حمودي القيسي وآخرين، ط1، عالم الكتب، د.م، 1987

كمال الدين، حازم: **دراسة في علم الأصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999

لوباني، حسين علي: **معجم الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيـــروت، 2007

الماجدي، خزعل:**الآلهة الكنعانية**، ط4، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999

إنجيل بابل، ط1، دار أزمنة للنشر، عمان، 1999

المعتقدات الإغريقية، ط1، دار الشروق، عمان،2004

المارك، فهد: **من شيم العرب**، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1963

المتنبي، أحمد بن الحسين: **الديوان**، شرح أبي العلاء المعري، تحقيق عبد المجيد دياب، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1992

محمد، عاطف فضل: **البلاغة العربية**، ط1، دار المسيرة، عمان، 2011

محمود، عبد الرحيم: **قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ط1، دار الرشـــاد، القاهرة، 2010

المسعودي، علي بن الحسين: **أخبار الزمان ومن أباده الحِدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1978

مسلم، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم، جمع جوامع الأحاديـــث والأســـانيد ومكنـــز الصـــحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، مصر، 1421هـ

مشارقة، محمد زهير: **الحياة الاجتماعية عند البدو فـــي الـــوطن العربـــي**،ط1، دار طـــلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1988

معلوف، شفيق: **عبقر: باثنى عشر نشيدا ومقدمة عن الأساطير العربيـــة**، ط3، دار الطباعـــة والنشر العربي، البرازيل، 1949

المفضل الضبي، أبو العباس: **ديوان المفضليات**، شرح الأنباري، تحقيـــق كـــارلوس يعقـــوب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1920

ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.

موسوعة تاريخ الأديان، تحرير فراس السواح، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2005

موقده، سمير محمد: **الشامل في علوم البلاغة**، دار الجامعة، نابلس، 2013

الميداني، أبو الفضل: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محي الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ن

ناصف، مصطفى: **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس، د.م، 1981

النسائي، أحمد بن شعيب: **سنن النسائي، جمع جوامع الأحاديث والأســـانيد ومكنـــز الصـــحاح والسنن والمسانيد**، جمعية المكنز الإسلامي، مصر، 2000

النعيمات، يزن أحمد: **عالم الفروسية**، ط1، مكتبة المجتمع العربي، د.م، 2012

نوفل، يوسف حسن:**الصورة الشعرية والرمز اللوني**، دار المعارف، القاهرة، 1995

النويري، شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب المصرية، مصر،1997

هاملتون، أديث: **الميثولوجيا**، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م، 1990

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف: **التيجان في ملوك حمير**، ط2، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1979

أبو يحيى، أحمد اسماعيل: **الخيل في قصائد الجاهلين والإسلاميين**، راجعه ياسين الأيوبي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1997

الدوريات والأبحاث

الألوسي، محمود شكري: ***رسالة في الألوان***، **مجلة المجتمع العلمي**، دمشق، آذار 192

جاد الله، خليفة محمد: **الأدب الشعبي في فلسطين أغاني النساء أنموذجا**، بحث مقدم إلى المؤتمر الفني الثالث للفن والتراث الشعبي الفلسطيني، جامعة النجاح، نابلس، 2011/2010

حمدان،عمر: ***الخيول في التراث الشعبي الفلسطيني***، **مجلة التراث والمجتمع**،ع3،م1، 1974

الخادم، سعد: ***الفنون الشعبية***، **المجلة – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر**، مصر، ع3، 1957

الدوري، يعرب قحطان عبد الرحمن: ***شذرات علمية في القرآن الكريم – هل الشمس تجري أم تدور؟***، **مجلة آفاق الثقافية والتراث**، الإمارات، مج18، ع72، 2010

الديك، إحسان: ***تناسخ أوزان الشعر العربي في الأغنية الشعبية الفلسطينية***، **مجلة جامعة الخليل للبحوث**، م6، ع2، 2011، ص43

زكي، عبد الرحمن: ***الخيل في السلم والحرب عند العرب***، **مجلة الدارة**، السعودية، مج4، ع1، 1978

سويلم، أنور: ***الاستسقاء في الشعر الجاهلي***،**مجلة مؤتة للبحوث**، ع1، مج1، 1986

السيد، عبد المؤمن وآخرون: ***رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة – دراسة إثنوجرافية بإحدى المدن الليبية***، **مجلة كلية الآداب**– جامعة بنها، ع 19، مج2، يوليو 2008

الصبيحي،محمد بن عبد الله غبان: ***خيل النبي صلى الله عليه وسلم أسماؤها وصفاتها***، **مجلة سنين**، السعودية،ع3، 2011

الطبال، أحمد: ***الماء في رمزيته الأسطورية والدينية، مجلة الفكر العربي المعاصر***، تصدر عن مركز الإنماء القومي، ع25، بيروت، 1983

العلان، مروان: **التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني**، بحث قدم لمؤتمر الفن والتراث الشعبي الفلسطيني الثالث، جامعة النجاح، نابلس، 2011

كمال، فريد: ***مقطتفات من المعتقدات الشعبية في فلسطين***، **مجلة التراث والمجتمع**، ع1976،5

محمد، نصر الدين صالح: ***أسماء الخيل عند ابن الكلبي – دراسة دلالية***، **مجلة علوم اللغة**، مصر، مج 5، ع 2، 2002

الناصري، أديبة: ***حياة الحيوان بين التوحيدي والدميري والجاحظ***، **مجلة التراث الشعبية**، ع3، 1980

الهويمل، تركي بن سعد بن فهيد: ***الخيل في ضوء القرآن الكريم***، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– العلوم الشرعية –**، السعودية، ع 19، 2011

الرسائل الجامعية

زيود، حارث: **بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة "آل عمران" –دراسة نحوية دلالية**، إشراف أحمد حامد، جامعة النجاح، نابلس، 2008

شبحة، بداك: **الوظيفة السوسيولوجية للسحر عبر الأسطورة القبائلية– دراسة سوسيولوجية**، رسالة جامعية إشراف مغربي عبد الغني، جامعة الجزائر، 1992–1993

صالح، حليمة: **الجن في الشعر الجاهلي**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2005

طه، طه غالب عبد الرحيم: **صورة المرأة المِثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2003

العارفي، يوسف: **الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان – دراسة اثنوغرافية–**، إشراف خالد عيقون، جامعة مولد معمري، الجزائر، 2012

عودة، عمر ماهر: **البكائيات في الأدب الشعبي**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008، ص145

نمر، عمر عبد الرحمن: **شعر البادية في النقب جمع ودراسة**، إشراف يحيى جبر وإحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002

الشبكة العنكبوتية

الإسكندر الأكبر، على الشبكة العنكبوتية /https://ar.wikipedia.org

ثابت، محمود سالم: القضاء العشائري عند قبائل بئر السبع، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية، http://www.omelktab.net

غزال، كمال: هــل تعكــس بلــورات المــاء حالتنــا الواعيــة،2009،الموقــع الإلكترونـــي، http://www.paranormalarabia.com

غونزال، أيمن: أسطورة اليونيكورن- الحصان الأحادي القرن، 20 اكتــوبر، 2012، الموقــع الالكتروني، www.wond23.blogspot.com

AN-Najah National University
Faculty of Graduate studies

The Image of Mare in the Palestinian Folk literature

By
Linda Mustafa Al-shillah

Supervised by
Prof. Ihsan AL-deek

This Thesis is Submitted in Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master of Arabic language and the literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najaha National Universit, Nablus, Palestinian.

2016

The Image of Mare in the Palestinian Folk literature
By
Linda Mustafa Al-shillah
Supervised by
Prof. Ihsan AL-deek

Abstract

This study tries to analyse what is setted down in the collective unawareness about the image of horse to humans since early history till today with focusing on the stable image in the heart of Palestinians people and there literature such as traditional poetry, story and proverb.

Came in on introduction, there chapters and a conclusion. The searcher showed the importance of the study in the introduction. The previous study and the important resources and references that the searcher depended on this work.

In the first chapter the searcher talked about the image in the horse in the old thoughts and a lingual preface came before that. She poused on what occurred in some of the arabic dictionaries for the meanings of, Faras,Hisan,Khail. Then she talked about the horses with old people. This came in three researches the first "The horse in the old human intellect" where the searcher stood at the horses legends that cleard the relashinship of the woman, sky and water with this creature that gained sacred features.

The second research came in the title "The horse in the old arabic intellect" where she tried to show the image of the horse, in the ignorant intellect using some of what came in the gnomic poetry and sayings.

The third research,"The horse in islam" she used the Quran verses and prophetic sayings that mentioned the horse clarifying the place of this creature in islam.

The second chapter was specifed to talk about horses in the Palestinian life it came in the title of "Transfiguration of the horse in the traditinal Palestinian literature" she devided it in tow researches in one of them she talked about the image of the horse in the traditinal Palestinian intellect and in the second she showed what the traditinal Palestinian literature specifed of poetrym proverb and story to clarify the image of the horse .

The third chapter was about the artistic formation of the horse image in the Palestinian Literature. The researcher has studied the prose texts that clarified more about horse's image. She studied that in an artistic way and in three sections. The first dealt with the artistic image. In the second, shetalked about the style and language. The third was about music .

In the conclusion of her research, she summarized the findings she reached about her.